حقائق الفاكهة
النبراس
للطباعة والنشر
خشوان زيد علي عشر

صنعاء

فقاقيع الذاكرة

(قصص)

بقلم :

نشوان زيد علي عنتر

٢٠٢٤م

فقاقيع الذاكرة

ظل د/ خالد العازب ينفخ في كوب الماء المعكر و المثقل بنفخه العبثي فيه عبر مصاصته الوردية الملطخة بشهيقه و زفيره في قعر الأخير مرارا و تكرار تنبثق من فوهتها فقاقيع براقة مختلفة الأحجام تندفع منه إندفاع دخان هائج من بركان ثائر فتغمر وجهه نشوة من الفرح و السرور ما يلبث أن تنتابه حالة من الحزن و البكاء لحظة ملامسة إصبعه لعدد منهم فيتبخرن على الفور ، لم يتوقف عن عادته البائسة منذ وفاة زوجته زينب و والدته بمرض تضخم القلب الأسبوع الماضي بعد تعرضهما للإختطاف و الإغتصاب بإحدى الشوارع الخلفية لمدينة صنعاء على يد أحد زملاء الأولى و عصابته و إسمه نافع الذي لم يشفع لها زواجها من أستاذهما بكلية الشريعة و القانون و إنجابها ولدين رائعين منه ، فإنهال على جسدها الضعيف الأبيض بعد تجريدها من ثيابها و تقييد جسدها بعرض السرير و ضربا و حرقا بالسجائر و السكاكين الساخنة و إغتصابها و حقنها بجرعات المورفين و الكوكايين السائلة ما سبب إنتفاخ حاد في شراينها الرفيعة و تبعثر الدم المنهمر منه و إختناق رئوي أودى بحياتها و هي في ريعان شبابها مما أفقده عقله و صوابه غمرت جسده الضامر من قلة الأكل و النوم و كثرة القلق عليها سيما بعد رفضها القاطع محاولته سرا التبرع بقلبه ليحل محل قلبها حتى لو تسبب بوفاته ، ثم يكتمل جنونه

الطاغي على ما بقي من دماغه إثر وفاة والدته ايضا و عثوره على الجاني في إحدى الصالونات المتواضعة في حافة حسين ، فما إن أغلق أبواب الصالون و نوافذه خفية بمساعدة والده حتى تدفقت سيول غضبه الجارفة الحبيسة القلب نحوه و تنهال ضربا و لكما دون رحمة أو شفقة و تحطم رأسه في المرايا و حوض الغسيل و تملأ جسده بالعاهات المستديمة ، و ليصبح السجن مأواه الدائم مدة خمس سنوات مازال يقضيها في المستشفى التابع له يتأمل صورة زينب المطبوعة في فقاقيعه الشفافة و ترتسم على شفتيه الجافتين إبتسامة عريضة وسع السماء الزرقاء حينما تحتضن بصدرها الدافئ و الحنون نجومها المضيئة الهاربة من الظلام محاولا تلمسها بإبهامه قبل أن تتبخر من أمامه كالعادة دون أن تتبخر ذاكرة من يحبهم من مخيلته المفعمة بالألم و الأمل معا .

غرفة الضباب

أوقعتها السجانة التركية العجوز الدميمة المنظر على الأرض عند إدخالها الزنزانة الإنفرادية بطريقتها المتعجرفة الصامتة المعتادة غير مبالية بسجينتها الدنماركية أولغا كريستيانسن الهاربة من بلدها على ذمة قضيتي دعارة و زنا و مثلهما في السويد قبل أن يصبح مصيرها المحتوم بين جدران سجن إيكا العام في أزمير و لمدة خمس سنوات كاملة دون أن تتعظ مما حدث لها من قبل ، سيما و أنها أجبرت على خوض غمار هذا العالم الليلي القذر بعدما تم خداعها من قبل أحد القوادين المحليين عبر عقد عمل مزور في المتحف الفرعوني بالعاصمة كوبنهاغن و هي الحاصلة على ماجستير في التاريخ القديم بإمتياز لتتفاجأ بأنها أصبحت حبيسة جدران سرية ظلماء تعج بالضباب خاصة بإحدى عصابات الدعارة المحلية ذات الشهرة العالمية و بعيدة عن الأنظار تجرها جر الأنعام أينما حلت في أرجاء المعمورة بعدما ختموها بالنار ختمهم الخاص بهم لتظل أسيرتهم مدى الحياة ، من بلد إلى بلد ، و من زبون إلى زبون ينهش جسدها و عفتها دون حياء أو خجل ، معزولة عن أقاربها و بلدها داخل غرف عفنة تملؤها التشققات و الحشرات و يلفها بحر من الضباب الكثيف المتصاعد من أفواه نزيلاته البائسات و سجائرهن الشاحبة اللون بعدما فقدن الأمل بالخروج من براثنه الحادة و نبذ مجتمعاتهن الكامل لهن .

عوالم الفتح

مازال أمين العبسي يزيل الغبار و ينفضه عن زجاج دكانه إستديو الفتح الشبه مكسور منذ أحداث الحصبة عام ٢٠١١م و الذي عاصر معظم أحداث و نكبات هذا البلد العجيب خطوة بخطوة ، لحظة بلحظة ، و شهد بالصورة قيام ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢م العظيمة إثر إستيلاء الثوار بدباباتهم الخضراء على قصور الأئمة الطغاة في صنعاء و تعز قبل أن يضحوا طغاة مثلهم و يقتلون بعضهم البعض ، و شهد بالصورة أيضا تحقيق وحدة البلاد الوطنية قبل أن يعود حالها إلى الإنفصال و الإنقسام مجددا و تعود شطرين شمالي و جنوبي و الجيران يتسلطون عليهم مرة أخرى بعدما عادت أشباح الماضي الأليم تجثم على صدورهم من جديد ، أئمة في الشمال و سلاطين في الجنوب بشكل جديد ، يستخدمون أحدث وسائل التكنولوجيا التي لم يدخل سوى النذر اليسير منها نوافذ حانوته القديم في سبيل أحقادهم الدفينة .

صائد الجرذان

ظلت غرفة جمال شكري مكتظة بدخان سجائره و رائحتها الخانقة على مدار الساعتين محاولا إستيعاب ما قاله مدير المخابرات العامة أقوى جهاز مخابرات في مصر و الشرق الأوسط له عندما إحتد في الكلام معه حول تقريره المثير للجدل و الصدمة في آن معا حول إثباته بالدليل القاطع الأسباب الحقيقية لهزيمة بلده في حرب ١٩٦٧م و النابعة من خيانة عدد من ضباط الجيش المصري الفارين قبل تسليم جنودهم و مواقعهم العسكرية إلى العدو الإسرائيلي دون قتال و الأسلحة السوفيتية الفاسدة و رفضه جملة و تفصيلا ، على الرغم من أنه صادر من أفضل ضباطه المحترفين الذي إستطاع اعتقال مئات الجواسيس الإسرائيليين و إصطيادهم إصطياد القطط للفئران و إخراجهم من مخابئهم السرية الوعرة بدهاء و مكر الثعالب في الأرياف و مصائده المبتكرة التي سرعان ما تحولت إلى أسلحة خطرة تهدد حكومته وطنه و سلامة أراضيه إثر إستقالته و إنضمامه إلى إحدى الجماعات الإسلامية المتطرفة منتصف السبعينات ليحيل أرض الكنانة جحيما لا يطاق قبل أن يكتوي بنارها سريع تهوره في هجومه على الأمن المركزي في محافظة أسيوط عام ١٩٨٠م .

جبل العصفور

ظلت الشمس الساطعة تلسع وجه ياسين نادر المتدثر بحمامه و عصافيره الأليفة منذ الصباح الباكر في منزله المتواضع القابع بقلب قاهرة المعز قبل أن يحيلها الواقع المرير إلى قاهرة المذل حسب رأيه ، يهتم بهن أيما إهتمام و أكثر من زوجته بهيرة التي رهنت مجوهراتها المتواضعة نوعا ما من أجل مشروعه الصغير فالضخم بعد عشر سنوات و المكون منذ البداية من صيدلية يبيع فيها الأدوية و يصنعها بتصريح من وزارة الصحة و هو العبقري في هذا المجال حينما كان في محل والده العطار ، ثم ينشئ إلى جانبه معملين متطورين و صغيرين أحدهما لمواد التجميل و الآخر للعطور قبل أن يتحطم و يتفرق شذرا مذرا إثر مقتل بهيرة و أولاده محترقين بالجاز في منزله الكائن بالعاشر من رمضان بحادث مدبر ، ثم مؤامرات أعدائه الأزليين رجال الأعمال المنافسين له كبارا و صغارا و الحكومة و الضرائب و الدولة بإجراءاتهم المفتعلة ضده قبل أن ينتقم منهم الواحد تلو الآخر شر إنتقام عبر طيوره المتفجرة التي يحقنها بمواد قابلة للإنفجار من إبتكاره أيضا تنطلق من جبله الخشبي القاتم متجهة صوب أهدافها بمنتهى الدقة دون أن تخطئها فترتطم بهم و تتحول معهم إلى أشلاء لا تبقي و لا تذر .

أنشودة الغرباء

منذ إفلاته من أيدي العصابة بشق الأنفس بعدما قتل زعيمها و ثلاثة من رجاله على طريق العريش – رفح حتى بدأ الشرطي باسل النهري يسترجع ذاكرته شيئا فشيئا و يتحرر من شخصيته الراسخة في جسده منذ عشر سنوات شخصية الممرض البائس العامل في إحدى مستشفيات العريش أمين بسيوني إثر مقتل زوجته و ولديه على يد نفس العصابة و زعيمها المتوحش المقتول على يديه قبل قليل الحرقاني بعدما أوجعه في تجارته الغير شرعية من مخدرات و سلاح أثناء أداء عمله كمدير لأمن طابا الحدودي ، و واصل إسترجاع ذاكرته إثر تسلله الى فلسطين و وصوله إلى حيفا بنجاح دون أن يعثر عليه من قبل حرس الحدود الفلسطيني أو المصري ، لقد كانت لديه قدراته الفائقة في التسلل الليلي التي ورثها عن جده مأمون مقتفي الأثر الشهير في شمال سيناء و جنوبها ، و إن كانت فلسطين ليست وجهته الاساسية لإستعادة ذاكرته السمكية إلى حد ما و حري به أن يتجه إلى مسقط رأسه و رأس عائلته الإسكندرية كي يطمئنهم برجوعه إليهم على قيد الحياة ، لكن حنينه الطاغي و حبه العارم لزوجته الراحلة سهى دفعه إلى زيارة وطنها فلسطين و تحديدا مسقط رأسها عكا دون أن تعثر عليه الشرطة الفلسطينية و التعطر برائحة بلادها بعد تحررها كاملة من الإستعمار الاسرائيلي و القضاء على كيانه الغاصب المزروع في

جسدها الطاهر منذ العام ١٩٤٨م و إقتلاع جذوره إلى الأبد عام ١٩٧٤م و التجول في كل ركن من أركانها بمنتهى الحرية تحت شخصية مستعارة إسمها بلال الرمحي ، مهندس كهربائي في إحدى شركات الأجهزة الكهربائية الكبيرة في مدينة القدس العاصمة قبل أن يكتشف شيئا فشيئا بأن الفلسطينيين منذ إنضمام بلادهم إلى حلف شمال الاطلسي عام ١٩٧٦م أضحوا نسخة طبق من الأصل من مستعمريهم السابقين ، يعتدون على جيرانهم السوريين و الأردنيين و اللبنانيين و المصريين دون توقف ، و ينفذون مخططات الغرب التآمرية ضد إخوانهم العرب و المسلمين دون حياء أو خجل ، فضلا عن عنصريتهم المفرطة ضد المهاجرين إليهم من دول الجوار ..... و غيرها من الأمور الموجعة للقلب التي أصابت الأرض المقدسة للمسلمين و المسحيين و اليهود و جعلتها واحة للغرباء ينشدون أناشيدهم الحزينة تحسرا على ما مضى و ندما على ترك أوطانهم صوب أرض المهجر ظنا منهم أنهم سيجدون مستقبلا مشرفا ينتظرهم هناك قبل أن يتحول إلى سراب دائم .

البهلوان الحزين

كان عادل محرم بارعا في حركاته البهلوانية إلى حد الإتقان ، ليس لأنه لاعب سيرك بل هو مجرد موظف بسيط في مصلحة الضرائب بمرتب لا يسد الرمق ، لكن الفوضى المرورية التي تعج بها شوارع العاصمة صنعاء بشكل لا يطاق و حصدت أرواح زوجته و أربعة من أبنائه الصغار بعمر الزهور جعلته بمرور الأيام خبيرا بكيفية التعامل مع هؤلاء السائقين الهمج الذين لا يراعون حرمة الطريق و لا شرع و لا قانون و لا عرف حتى بعدما تركت لهم السلطات المرورية منذ عام ٢٠١٦م الحبل على الغارب يستبيحون كرامتها المهدورة منذ زمن ، بل إن كثيرا من الناس أعجب بحركاته البهلوانية التي يؤديها من شارع إلى شارع ، و من حي إلى حي كي يصل إلى عمله أو منزله فأضحوا يقلدونه تقليدا أعمى ظنا منهم أنه نجم سينمائي أو ما شابه دون أن يدركوا حجم الحزن العميق الذي بداخله جراء ما يقوم به من تصرفات لا تليق بمقامه الرفيع رغما عنه كي يحافظ على حياته من وحوش بشرية تعبث بروحها قبل أرواح غيرها من الأبرياء الذين ضاقوا ذرعا بجحيم السماء و الأرض إلى حد الآن .

النهايات الغامضة

أربكت أقوال المتهمين بإغتيال الزعيم (رئيس الوزراء) الأوساني فارس المريسي و هم ست رجال و إمرأتان تفكير المفوض العام عدنان الياسر ، كل فرد يقول الحقيقة في موضع و يخفيها في موضع آخر ، و أحيانا ترى بعضهم يقدم على الإعتراف و تحميل نفسه المسئولية الكاملة لجريمة الإغتيال و المندرجة ضمن جرائم القتل العمد و التي تصل عقوبتها إلى السجن خمس و عشرين سنة دون غيره و ما يلبث أن يتراجع عن أقواله بعد ساعتين ، و لم تفلح عملية فصل أفراد المجموعة في زنازين إنفرادية كل على حده مجهزة بأحدث أجهزة التنصت السرية المبتكرة فلقد كانوا مدربين على إكتشافها بإحترافية عالية ما آثار استغرابه و دهشته ، كما أنه إستخدم أرقى وسائل التأهيل المهني كعلم النفس و الإستقراء الالكتروني و قراءة أفكارهم لإنتزاع الإعترافات منهم قبل أن يضطر للمرة الأولى خلال حياته المهنية أن يمارس وسائل التعذيب البدائي معهم ، و هذا ما آثار إستغرابه أكثر من صلابة موقفهم و عدم رضوخهم لضغوطه الشديدة التي لا يتحملها إنسان كي يعترفوا على أنفسهم و شركائهم السريين في إرتكاب هذه الجريمة الكبرى على المستوى الرسمي ليكتشف بعد فحص دقيق لإفاداتهم ليل نهار أوصلته إلى الحقيقة الموجعة للقلب بأنهم من المخابرات الحديدية أقوى جهاز مخابرات في العالم و أن زملائه و

زميلاته كبارا و صغارا كانوا يتساهلون معهم في التحقيق أثناء إنتهاء دوامه و يخبرونهم بكيفية التعامل معه و إستجوابه الشاق لهم ليعرف أن بلاده أوسان لم تتحرر من أحداث ١٩٨٦م الدامية التي قتل فيها الزعيمان علي عنتر و ناهد نصيف و لعنتها المسمومة على البلاد حكومة و شعبا .

ألوان العدم

من كان يصدق أن لوحاته ترتكب جرائم القتل العمد ضد الأبرياء ؟! لم يكن يصدق باسم السكاكيني و هو سليل عائلة فنية عريقة في عكا في فلسطين أن الألوان التي يبتكرها من الأحجار الوردية و الكربون بمنزله في حيفا و تلطخ وجه لوحاته المعروضة في أنحاء فلسطين و العالم العربي منذ خمس سنوات أضحت رسول الموت لمن يقتنوها و له أيضا بعدما تمرغ في خلطاتها العجيبة مرارا و تكرار دون أن ينفعه حذره الشديد في تكوينها بإنفاذه حياته التي فقدها فجأة أثناء ألقائه إحدى محاضراته بكلية الفنون التشكيلية بجامعة حيفا ذات صيف غائم .

تابوت الغريب

منذ الإنفجار الضخم الذي هز شارع الرشيد بالعاصمة العراقية بغداد عام ٢٠١٧م و وسائل الإعلام المصرية لا حديث لها سوى عن أحد ضحاياها و أهمهم شأنا عالمة الآثار راوية الغريب و الهاربة من نار بلدها هبة النيل إلى جحيم الرافدين كالمستجير من الرمضاء إلى النار ، بعدما تخرج على يديها لفيف من علماء الآثار المحترفين من كلا الجنسين و أضحى مصيرهم للأسف في الشارع بلا مال و بلا عمل و بلا كرامة أيضا ، فضلا عن إكتشافاتها الأثرية الفريدة من نوعها في العالم بمحافظتي الفيوم و بني سويف و حرصها على ترميمها و الإعتناء بها أيما إعتناء و مكافحة تهريبها بضراوة شديدة و هي أمور البت عليها غضب و مؤامرات تجار الآثار و المهربين و شركائهم من أعضاء الهيئة العامة المصرية للآثار التي باتت تعج بالفساد الإداري حتى النخاع منذ نصف قرن و هذا ما جعلها تكتوي بناره ليل نهار داخل أروقته إلى حد الصدمة عندما تعلم بأن الدولة التي يفترض بأنها الحارس الأمين لتراث الأجداد و آثارهم العريقة تبيعه للصوصه الميامين داخل البلاد أو خارجها دون حياء أو خجل ، و لم يكن العراق أفضل حالا في نظرها حيث أصبحت الآثار هناك مباحة للجميع يعبثون بها كيفما شاؤا بعدما إستباحوا أمن البلاد و إستقرارها لتكون لقمة سائغة في فمهم .

حراس الظل

إقتربت سوسن بهدوء و حذر شديدين من أبيها الطبيب النفسي الشهير مراد البتانوني كيلا توقظه من أحلام يقظته المسيطرة على تفكيره منذ الفترة الأخيرة واضعة كوبه المعتاد من القهوة بالنعناع و تهمس إليه بأن ذكرى وفاة والدتها و زوجته ستبدأ فعاليته بعد ساعتين و نصف فيجيبها بهدوء مفاجئ أفزعها بأنه سيذهب إلى هناك بعد إنهاء قهوته دون أن تدري مدى إنشغاله بمرضاه النفسيين و من بينهم الذين تآمروا عليه مرارا و تكرارا و تسببوا في إحداها بمصرع زوجته نوال و والديه و كيفية معالجتهم أو عزلهم عن المجتمع أن لم يجد العلاج معهم نفعا دون أن يكشف أسرارهم إلا بإذنهم مدركا في قرارة نفسه أن الإنسان من المهد إلى اللحد قبو مليء بالأسرار التي لا تنتهي و لا تفشى بإرادته ، و أن مهمته و زملائه الحفاظ عليها من التسرب أو إفشائها غير مبالين لغضب من حولهم و في صدامات مع الشرطة و القضاء و النيابة العامة و الصحافة لم يهدأ وطيسها بعد ما دفع إلى تلقيبهم بحراس الظل ، لقب كان يطلق على جماعة أوروبية خلال العصور الوسطى تقوم من تلقاء نفسها بحراسة الأماكن المهجورة كيلا يكتشفها ظنا منهم أن ذلك يطيل من عمرها و يبقيها طاهرة بعيدا من البشر و شهواتهم و أطماعهم إلى أجل مسمى أغلبه ينتهي بالموت كما حدث للدكتور مراد لحظة خروجه من المنزل صوب

سيارته عندما عاجله أحد الخصوم برصاصة قاتلة في الرأس قبل فراره السريع عبر دراجته النارية دون أن يحرك أحد من المارة ساكنا نحوه أو يبالي بصراخ إبنته المكلومة بفقدانها لوالدها العزيز أمامها مضرجا بدمائه .

دماء الوهم

ظل ماجد الشرفي و رفيقه فخصمه رغما عنه أنور المحفدي قبيل فرارهما معا من الجبل الملطخ بدماء رفاقهم الحمقى المنتحرين يتأملان جثثهم المتفحمة و بقايا أسلحتهم المتهالكة من معركة طاحنة دارت أوارها في نهم كالعادة لم تبق و لم تذر و دون أن تغير من الحال شيئا لصالح أي منهما ، فماجد يزيل التراب عن بعض زملائه المنتمين إلى أنصار الله الحوثيين و يغلق عيونهم و يقوم بدفنهم بعد أن يقرأ الفاتحة ، نفس الشيء فعله أنور مع زملائه من السلفيين ، معظمهم كانوا معهم في صفوف الدراسة قبل أن يتركوها بملء إرادتهم حيث العديد منهم لا يحب العلم أو رغما عنهم لظروف إقتصادية أجبرته على تركها سيما و أن المدارس لم تعد تشجع على التعليم و لا يحزنون كما كانت من قبل ، فضلا عن أن معظم العاطلين من حملة الشهادات الجامعية التي لا تنفع و لا تضر في بلاد الأزمات تلك ، فما كان منهم سوى الإستجابة لطبول الحرب السامة التي فرقت بين الأخ و أخيه و ينفث زعافها المستعر أمراؤها و تجارها الجهلة الفاسدين من كلا المعسكرين تارة باسم الدين و تارة أخرى باسم الوطن و باسم العروبة و جميعهم كذابون و رب الكعبة ، و الإستجابة لإغراءاتهم المتمثلة بغنائم وافرة و بطولات عسكرية و أموالا طائلة ترسل لأهاليهم جوا و برا و بحرا مقابل القتال في صفوف أحدهم و رفع شعارات غير

مقتنعين بها أصلا في سبيل تحقيق ذاتهم و أحلامهم التي لم تتحقق في بلدهما و لو النذر اليسير منها ، و إنتصارات وهمية ترضي غرورهم الزائف و لو على حساب أرواحهم الميتة أصلا من قبل .

دموع التنين

أضحى جلاد سجن النساء بالقناطر الخيرية محمود العناني سمك قرش لا يذوق طعم النوم أبدا و لا يرحم ضحاياه من الجنس الناعم و لا يأمن زملائه جانبه الشرير ، فلحظة تنفيذ الحكم يقوم بتكبيل السجينات كما تكبل الخرفان لحظة ذبحها و التضحية بها في عيد الأضحى بغاية السرعة و الوحشية غير مبال لصراخهن و بكائهن الحاد اللذان سرعان ما ينطفئان بعد شنقهن خلال دقائق و هو على يقين أن معظمهن بريء من التهمة براءة الذئب من دم يعقوب و من ضحايا رئيس محكمة جنوب القاهرة الإبتدائية الفاسد المرتشي المستشار محمود عز الدين ، بل إنه يعلم جيدا بأنه كان وراء إعدام والدته الصحفية الشهيرة منيرة التهامي بحكم قضائي مخالف لأحكام القانون و لأبسط حيثياته بغية التخلص من نشاطها الصحفي الذي بدأ يزعج مراكز القوى الفاسدة في الدولة و بتهمة تثير السخرية ألا و هي تجارة الحشيش ، لكن يا فصيح لمن تصيح ؟ لشعب مازال عبدا للفراعنة منذ آلاف السنين ؟ و دفعه إلى ترك عمله كطبيب أطفال و طلاقه رغما عنه من زوجته أشجان التي تحبه حب العبادة تحت ضغط من أهلها بحجة إنه سليل المجرمين و القتلة و عدو الشعب رقم واحد ليكون مصيره المحتوم مجرد سجان و جلاد متوحش لا يعرف للرحمة طريقا إلى قلبه قبل أن يشفي غليله و يجعله يذرف دموع النصر

لأول مرة منذ عشر سنوات على إمتهانه هذه المهنة البائسة إعدام زوجة عدوه اللدود نادية المرشدي على يديه بتهمة ملفقة من قبل قاض فاسد كزوجها الذي أصيب بالجنون إثر إعدامها و دون أن يتدخل أولياء نعمته من إنقاذها رغم خدماته الجليلة الفاسدة على مدى عقد من الزمن متناسيا ما إقترفته يداه القذرتان بحق الأبرياء أمثال محمود و والدته و غيرهم من الذين دفنهم الفساد القضائي في مصر أحياء و أمواتا دون أن يحرك ضده ساكن يفضلون أن يضعوا رؤوسهم في الرمال على مواجهته .

دوامة الخروج

وقع أخيرا العداء العالمي الذي لا يشق له غبار حسين الشيباني في شرك كوابيسه المزعجة إلى حد الدمار التي لم يقدر عن التحرر من أغلالها السرابية على الرغم من أنه أضحى بطل العالم للمسافات الطويلة مرتين في بون عام ١٩٩٩م و بكين ٢٠٠٠م بمواهبه الخاصة فقط و التي عجزت أن تنقذه من وساوسه و كوابيسه الجاثمين على صدره منذ إندلاع الحرب الأهلية في بلاده المنحوسة عام ٢٠١٥م ،كلما خرج من إحداها وقع في الأخرى ، سيما و أنها متاهة غامضة صممها أمراء الحرب له و لغيره من المواطنين الأبرياء الذين لا حول لهم و لا قوة فاقت في غموضها و صعوبتها أهرامات الجيزة في مصر كي يصبحوا تحت رحمتهم ، يخرج من رواق إلى رواق ، من ممر إلى ممر ظنا منه أنها المخرج و لكن دون جدوى ، فيعود إلى نقطة الصفر مجددا بعدما تبللت ثيابه من عرقه المتواصل ، و عندما بلغ السيل الزبى قرر أن يتسلق إحدى جدرانها العالية الغير مسقوفة بمنتهى الطيش و التهور دفع حياته ثمن لذلك عندما أحرق اعدائه جسده الطاهر بإحدى صواعقهم القذرة التي لم يسلم من شرها بشر و لا حيوان و لا نبات مزروعين في وطن عظيم أحالوه بأنانيتهم المفرطة إلى هيكل عظمي عديم الفائدة لا ينفع و لا يضر الغريب قبل القريب .

قضبان الريح

لم تهدأ ألام جون غاريت بعد الإنتهاء من مراسم دفن زوجته الشابة ذات الثلاثين ربيعا باتريشيا و دون أن يغمض له جفن أو يعرف النوم طريقا إلى مقلتيه الزرقاوين من شدة الحزن عليها لثلاثة أيام متواصلة مضت غير مصدق أن تقضي نحبها بهذه السرعة و هي في ريعان شبابها قبل أن تقتحم نوافذ غرفة نومه المخملية نوعا ما فجأة و بعنف قضبان من الريح أفزعته بقوتها العاصفة و إرتعدت فرائصه من منظرها الرمادي اللون بعدما تحولت في هنيهة إلى بشر من هواء من بينهم زوجته الراحلة يمثلون أمامه بشكل صامت و محكم تفاصيلا سرية و غامضة عن حياتها أثارت دهشته العارمة مما رأه أن لم نقل غضبه الشديد عن خياناتها الزوجية و عشاقها و معظمهم من رؤسائها الكبار في السن و علاقاتها الجنسية معهم و مع زوجاتهم إرضاء لهم كيلا يطردوها من العمل ، و عندما ضاقت ذرعا من هذا الوضع المشين و قررت التمرد عليه عبر نقابة الشركة تارة و المحاكم تارة أخرى الذين لم يحركوا ساكنا أمام سطوتهم و نفوذهم و مالهم الطاغي على العيان حتى أدركت أخيرا بأنه لا جدوى من الوقوف في وجه جبروتهم و طغيانهم الناعم الملمس على السطح إلى حد إحراقها حية بالجاز في إحدى مستودعات شركتهم بضواحي المدينة بفعل فاعل قبل أن يتحول عبرهم إلى قضاء و قدر كما هو مذكور في تقرير الشرطة التي طوقت موقع

الجريمة آنذاك ليدرك جون مأساة زوجته و غيرها من زملائها أصحاب الياقات الزرقاء رجالا و نساء بعدما أضحوا عبيدا لسادة الإقطاع الحديث الذين كشروا عن أنيابهم في بلد العم سام بعد الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م ينهشون أجسادهم و ينخرون عظامهم دون وجه حق .

معالي الوزير

مازالت معالي تعاني من إسمها الغريب الذي يسبب لها المشاكل و الإحراج أمام الناس ، سيما عندما يضاف إليه لقب عائلتها العريقة في بنغازي الوزير دون إسم الأب و الجد ، فتشعر بالحرج الشديد أمامهم بكافة طبقاتهم و غالبا ما تتعرض لأذاهم و عنفهم المبرح في حال إكتشاف الحقيقة دون إعتبار لأنوثتها الخجولة أو مكانتها الإجتماعية أو آداب التعامل التقليدية مع النساء ببلدها ليبيا ، و ما يثير دهشتها حينما تصرح لهم باسمها المقتضب (معالي الوزير) يحملونها على أكف الراحة و الرعاية المطلقة ، بل وصل الأمر بضباط قسم شرطة حيها القاطنة فيه حي الدرة وقفوا لها إحتراما و تعظيما لحظة نطقها إسمها عند تقديمها شكوى ضد أحد الجيران ، و مختار حي الدرة الشيخ مصباح أقام لها سرادقا ضخما إحتفاء بها و بالوزير الذي برفقتها حسب زعمه ، كما أنها حضرت برفقة زوجها المذهول مما يحدث لها إجتماعا لمجلس الوزراء بدعوة شخصية من رئيسه دولة الرئيس .... و هلم جرا ، لكن لحظة إكتشافهم الحقيقة الغائبة عنهم بملء إرادتهم يتحولون إلى بركان هائج من الغضب يحيل حياتها اليومية إلى جحيم مستعر لا يطاق ، ليضحى قدرها المحتوم أن تعاني الأمرين من إسمها المثير للجدل الذي أطلقه عليها جدها الراحل لوالدتها و مختار حي الدرة السابق مأمون القرضابي عند ولادتها و تتحمل

لعنتــه خيــرا كــان أم شــرا فــي مجتمــع لا يعشــق ســوى المظــاهر الكاذبــة و تعظــيم المقامات الكبيرة إلى حد الألوهية و العياذ بالله .

مفاتيح الجعفري

(على ماذا أجيب ؟ شذرات الأرجوحة)

هكذا رد إسماعيل الجعفري شيخ الطريقة الشاذلية و أكبر دجال و مشعوذ في حي الأزهر بالقاهرة على سؤال وكيل النيابة الغاضب و المتعجب من برود أعصابه و ثقته الزائدة بنفسه ، سيما و أن الأخير يعد واحدا من بحر زبائنه الكثر و أضحى جميعهم يشكلون معظم المصريين المحبطين التائهين في زمن الهزيمة أو نكسة ١٩٦٧م ، يحركهم كيفما شاء عبر مفاتيحه السحرية الجالبة للحظ و المصنوعة من الزئبق الأحمر و التي تعلم صنعها عبر معلمه في السحر أيضا سيده صائغ المجوهرات اليوناني تودري ريكوس قبل رحيله عن البلاد بعد تأميم محلاته التسع في الاسكندرية و القاهرة عام ١٩٥٩م ، و ذلك عبر رقصاته السحرية أيضا كشذرات الأرجوحة و لفة الدراويش ..... الخ .

لم يستطع أحد مقاومته بل شاركوه الرقص أيضا من قضاة و ضباط شرطة و جنود و كتاب محاضر و وكلاء النيابة بمن فيهم الذي يستجوبه يروون معه همومهم و آمالهم التي ظنوا أنها ستنتهي و تتحقق عبر مفاتيحه السحرية و حظوظها الأكيدة التي لم تحمي صاحبها و أولاده و زوجته بعد مقتلهم على الطيران الإسرائيلي الغاشم لبورسعيد عام ١٩٦٨م ليطلق

صـــرخة إســـتغاثة و أنـــين مـــع دعـــاء صـــوفي أخيـــر قبـــل أن يقضـــي نحبـــه و يســـقط في غرفة التحقيق حزنا عليهم .

مقتفي الأثر

ظل حسان المساوى يتلفت يمينا و يسارا بإستمرار و قد بدا الإعياء و القلق على محياه ظنا بأن شخصا ما يراقبه ، واقفا على إحدى شوارع نيويورك غير مبال لنظرات الناس حوله و عدم إكتراثهم له لوجود شخص هناك أهم منهم يجب أن يأخذ حذره منه ألا و هو النمرود الأحمر الذي قبض أرواح آلاف اليمنيين في أرض المهجر العربية و الأعجمية ذبحا وبقرا لبطونهم تحت جنح الظلام بعدما إقتفى آثارهم بسرعة البرق و دونما يشعرون بوجوده أو يجدون أي أثر ، و دونما يعلموا الدوافع التي تدفعه إلى إرتكاب مثل هذه الجرائم البشعة بحق أبناء جلدته ، هناك من قال أنها تصفية حسابات شخصية معظمه متعلق بالمال و البعض الآخر فسرها بأنها نتيجة ثارات قديمة بين أسرته و أسر الضحايا ، و لكن أية ثارات تلك التي تجعله يقتل هذا الكم الهائل من البشر ذكورا و إناثا و من مختلف الأعمار و المذاهب يوازي عددهم سكان هولندا ؟ لم يعلموا أنه نابع عن حقد دفين من القاتل شنه ضد من دمر بلاده من أبناء جلدته و لو في أبسط الأمور ، كيف لا و أمين راشد المؤرخ الأكاديمي الذي أفنى عمره في تعريف العالم بتاريخ بلده المجيد قديما و وسيطا و حديثا يرى أبنائه يشوهونه و يدمرونه و يحطموا كل شيء جميل فيه من أجل أغراض تافهة و حقيرة و عديمة الفائدة مثلهم ، فكان يستدرجهم إلى خارج البلاد عبر

مكتبات سفرياته الوهمية و يستضيفهم على حسابه دون أن يعلموا من يكون بل عبر وسطاء عديدين يعملون معه لفترة مؤقتة ثم يختفون عن الأنظار بعد إرتكابه جرائمه و كان حسان المعروف بتهريب الآثار اليمنية القديمة في محافظة إب و ما حولها من ضمن الذي إستضافهم في إحدى فنادقهم ليكون كبش الفداء لهذه الليلة قبل أن ينجو في اللحظات الاخيرة من مصيره المنتظر عندما يشاهد على إحدى القنوات الفضائية خبر مصرع النمرود الأحمر في حادث سيارة بمدينة فرانكفورت مقر إقامته الشبه دائم و إكتشاف الشرطة الالمانية بعد يومين من وفاته حقيقة الرجل الذي أرعب اليمنيين داخل بلادهم و خارجها و دوخ أجهزة الأمن في اوروبا و أمريكا و العالم العربي طيلة عشر سنوات ، ما إن سمع حسان الخبر حتى طار من الفرحة الطاغية التي أفقدته التركيز و الإنتباه للطريق فتدهسه سيارة شرطة مسرعة ليسقط على إثرها صريعا و يصبح هو أخر ضحاياه حتى بعد إنتقال روحه إلى العالم الآخر غير مبال بما سيحدث له هناك .

نيران التراب

بدأت رشيدة يحيى تخطو خطوات متثاقلة بملء إرادتها مليئة بالعزم و الثقة الطاغية صوب مقبرة عائلتها الكائنة بالجيزة و تحديدا قبر زوجها الطيار تركي العدوي الذي قتل في حادثة إختطاف طائرة مصر للطيران الشهيرة عام ١٩٨٥م ممسكة بيد ولده أنور المقيد بأغلالها اللاصقة من زوجته الثانية و إبنة عمها بهيرة التي لم تعلم بزواجها منه إلا بعد عشر سنوات من مقتله حينما رأتها فجأة في إحدى المناسبات العائلية ترتدي عقد الياقوت الذهبي الخاص بها و التي إدعى تركي أنها سرقت من منزلهما دون رجعة قبل أن تكتشف حقيقة مزاعمه في قسم شرطة المهندسين بأنه أهداها لبهيرة خلال عرسهما المقام في السر بعد سنتين من زواجهما ، سيما و أنها حققت ما عجزت رشيدة عن تحقيقه له ألا و هو إنجابها لإبنه الذكر و هي التي معظم ذريتها من البنات الأربع و تحول إلى جد في الثامنة و الثلاثين بسببهن ، لم يشفي غليلها وضع بهيرة في السجن أو تحطيم أنفها بإحدى دورات المياه بمطعم الراسي و لا تحطيم ساقي طليقها و زميل زوجها الراحل الطيار عاطف و مهندس زواجه الثاني سعيا وراء الإنتقام منها لرفضها الزواج منه و تفضيله عليه فقررت إختطاف ولده الصغير المرعوب منها و غير قادر على مواجهته و حمله إليه تهديد السلاح بعد أن نزعت قيوده لتصب جام غضبها عليه بسيل من اللعنات و الشتائم المكبوتة و

الـــذكريات الحلـــوة التـــي جمعـــت بينهمـــا لعقـــود مضـــت قبـــل أن تمـــلأ لحـــده بالجـــاز و تحرقـــه و تشـــعل النيـــران فيـــه ضـــاحكة مستبشـــرة و غيـــر مكترثـــة لصـــراخ أنـــور و بكائـــه الحـــاد و غيـــر مكترثـــة بمصـــيرها المشـــئوم مريضـــة مختلـــة عقليـــا إلـــى الأبـــد بإحـــدى مستشـــفيات الأمـــراض العقليـــة و النفســـية فـــي قـــاهرة المعز أو المذل فالأمر أضحى سيان بالنسبة لها و لن يغير من الأمر شيئا .

هموم قارون

يذهب منير فخر الدين كعادته و بعدما ينهي دروسه الجامعية الى مشارف بحيرة قارون الواقعة في قلب مدينته الهادئة و الرتيبة في سكونها الفيوم حيث يشكي همومه و الامه الخانقة من ظروف الدراسة و المعيشة اليومية و فتاة أحلامه لقطراته الزرقاء الصامتة بعدما ضاق الناس و لا سيما اهله ذرعا بشكواه المستمرة و تبرمه الدائم من الحياة في بلده التي سأت أحوالها بعد الثورة أكثر من ذي قبل ، و بينما كان يحدث نفسه أمام البحيرة إذا به يلاحظ حركة غريبة تحدث فيه جعلته يتوجس خيفة منها قبل أن ينتابه الرعب و الذهول الشديدين بعد تحول الحركة الغريبة إلى دوامة ضخمة إنبثق من خلالها الرجل المدفون في قعره من أيام الفراعنة بعدما أيقظته شكاويه و نواحه المستمرين من رقاده الطويل منذ قرون مضت ، سيما و أنها نفس المشاكل و الهموم التي حدثت في عهده و دفعته إلى سلوك طرقا غير شريفة و غير قانونية نحو السلطة و الثراء السريع قبل أن يخسف الله تعالى به الأرض ، ما إن سمع منير حكايته الغريبة و الرهيبة حتى قذف بنفسه إلى لجة البحيرة دون تردد و يشارك صاحبها المقام الأبدي بعدما ادرك أنه لا أمل يرجى من هذه البلاد مهما تبدلت الظروف و العصور .

وحوش بريئة

لم يستطع مهدي الحسيني النوم و لو دقيقة واحدة كعادته تطارده الكوابيس و وساوسها القهرية في غابة الأشباح صنعاء بعدما حولت الحرب الأهلية الاخيرة أهلها إلى وحوش اسرائيلية في غاية البراءة و إن كانوا هكذا من قبل دون تغيير يذكر ، لكن الضجيج الصادر من إحدى سيارات المتنفذين الفاسدين الغير مجمركة و المعبأة بنفط قادم من السوق السوداء يكفي حيا بأكمله و التي أثار صوتها المزلزل لراحة السكان إلى حد الرعب أيقظته و أفزعته و دفعته إلى النهوض من سريره الخشبي صوب مصدره ثورا هائجا لا يرحم خرج من عتبة داره ليفاجأ بإبن صاحب السيارة المزعجة يبول أمام سور منزله دون حياء أو خجل أو إكتراث من والده المستهتر و المنشغل بزواملة و شيلاته الهندية السمجة ، فضاق مهدي ذرعا و إندفع غاضبا كالإعصار نحوهما غير مبال لصراخهما و سبابهما حيث لاذا بالفرار منه و عينيه الجاحظتين قبل أن يخبو توتره و عصبيته لحظة رؤيته أحد المتسولين أمامه يطلب منه صدقة فيعطيه عشرة ريالات فحسب ثم يعود إلى منزله قبيل أن يسقط قبالة بابه الصغير فجاة مضرجا بدمائه جراء رصاصة قاتلة من الخلف أطلقها غدرا نفس المتسول العجوز الذي تصدق عليه قبل قليل بعدما نزع قناعه الزائف و أظهر وجهه الحقيقي كلص محترف إقتحم داره أمام ناظريه دون أن يحرك جيرانه نحوه

ســاكنا فــي بلــد لــم يعــد يعــرف صــديقه مــن عــدوه فكلاهمــا متشــابهان لا فــرق بينهما .

أرجوحة الليل

لم تتوقف لبنى و هي بعمر الزهور و البنت الصغرى لمساعد وزير الداخلية الفلسطيني مراد الرمحي عن التأرجح بأرجوحتها الذهبية حتى منتصف الليل بمنزلها الكائن في حي الكرمل بمدينة حيفا ، ما آثار استغراب والدها الحائر من تصرفها الشاذ التي ما إنفكت تمارسه دون توقف منذ أن دبت الحياة فيها مجددا بعدما كادت سيارة ذو الحجم العائلي أن تنهي حياتها إلى الأبد على يد أحد الشباب الطائشين في إحدى شوارع حيفا المتخمة بالسيارات الفارهة و الفخمة بكافة الماركات العالمية من كل صنف و لون بعدما أضحت إحدى العواصم الإقتصادية العالمية مثلها مثل إسطنبول و نيويورك ، فغيرت بشهرتها سلبا الفلسطينيين و الأجانب القاطنين فيها بمن فيهم لبنى التي أرعبت بعيناها الجاحظتان المحفورتان كما لو كانت عيني إحدى الساحرات تنفث من خلالها نارا حارقة تحرق من يراها كما فعلت مع الشاب الذي صدمها و والدتها و أختها و أخيها ليتلظى بسعيرها المحتوم إلى الأبد .

كان ماجد المهذري الوحيد المستيقظ داخل مغارته المظلمة القابعة شمال قطابر بصعدة من بين رجاله النائمين نوم البعير من شدة التعب و الإرهاق و جراحهم التي لم تندمل بعد عكس زعيمهم تماما الذي لم يذق طعمه منذ أسبوع قضاها في حرب مع قوات الشرطة الحكومية التي تطارده إثر قتله أحد مشائخ صعدة وجيه العوجري بدم بارد و دون هوادة أو إعتبار لمكانته الرفيعة بين مشائخ مهذر حيث نار الإنتقام المتاججة داخله من أجل خطيبته الطبيبة منال حرمل التي إغتصبها الشيخ المذكور و أجبرت على الزواج منه قبل أن تلقى حتفها على يديه غلبت إحترامه الزائف لتقاليد منطقته البالية و الدولة و أجهزتها الفاسدة حتى النخاع و التي لم يسلم من فساده حتى القضاء و النيابة العامة و ميزانها المختل منذ عقود مضت ، فقرر أن يحقق العدالة بطريقته الخاصة القائمة على سلب و نهب الفاسدين في منطقته و إنصاف المظلومين بقوة السلاح دون إعتبار لمكانتهم الإجتماعية الرفيعة و صراخهم و بكائهم يتوسلون منه الرحمة و المغفرة لكن سيفه سبق العذل و أسكت أصواتهم إلى الأبد ، و غير مبال لكلام شقيقه الأكبر معاذ الناري في آخر لقاء بينهما و معاداة الأخير بعد أن إتهمه باللصوصية و الإجرام و أصبح بالتالي نسخة طبق الأصل من عدوه الشيخ وجيه بعدما تحول من ضحية إلى جلاد ، و لم يبال أيضا

بالرصاص المنهمر على جسده الضئيل المحتضن لصورة حبيبته الراحلة يتدفق من بنادق الجنود الساعين لأخذ الثأر منه على قتل الالآف من زملائهم بتواطؤ من قادتهم العسكريين بعد أن غدر أحد رجاله و دلهم على وكره مقابل ٦ ملايين دولار تجعله و غيره من أبناء جلدته يبيع أعز ما لديه و يبيع الجمل بما حمل من أجل رمال من الذهب دون أن يظفر بنعيمها الوافر حيث لقي حتفه على أيديهم ليدرك هذا الأحمق بعد خراب البصرة أن من حفرة لأخيه وقع فيها .

الأريج السام

عزيزتي منال

أكتب إليك من قبرك الأبيض المغبر بإحدى ضواحي الاسكندرية الذي لم ينفض عنه الغبار منذ خمس سنوات مضت على رحيلك عني حينما جثم سرطان الدم (اللوكيميا) على جسدك المرهف الحنون دون رحمة تذكر بسببي و بسبب عطري المبتكر الذي أنتجته شركتي الأريج الدولية لصناعة العطور (آمون) ، لم أكن أعلم أنه يسبب لمن يتمتعون بأريجه الأخاذ أوراما سرطانية بغاية السهولة و بكافة الأحجام على الرغم من أنه عند بيعه للمرة الأولى وسط حفل فخم حضره لفيف من كبار رجال الأعمال و المسئولين في الدولة بقاعة الشركة الرئيسية في القاهرة عام ١٩٩٨م لم يحدث أي ضرر من هذا القبيل لزبائنه من قبل ، حتى إكتشفت أن علماء مختبر الشركة للعطور و جلهم من زملائي الذين تخرجوا من كلية العلوم بجامعة عين شمس قد تلاعبوا بتركيبتها و أضافوا إليها موادا كيميائية خطرة لصالح شركة فرنسية دولية للعطور منافسة أغرتهم بالمال و العمل لديها و بهدف توريطي و تجريمي بهذه القضية مع أني لم أبخل عليهم بالمال و المنصب و المسكن و توفير سبل العيش الرغيدة لهم ، لكن يبدو أنك إذا أكرمت الكريم ملكته و إذا أكرمت اللئم تمردا ، ليكون قدرك يا عزيزتي

أن تكــوني إحــدى ضــحايا لهيبــه الــدافئ و هــو يختــرق مســامات جلــدك النــاعم بمنتهــى الهــدوء و الغــدر الصــامتين و ضــحية صــانعه و ضــحية مــا جنتــه يــداي القذرتان بحقك دون وازع من ضمير

زوجك المذنب

حاتم المعداوي .

فوجئ رحيم بأن الشرطة ألقت القبض على زوج والدته شيرين و أكبر سباك في الأحياء الفقيرة في طهران الحاج كريم الله مشهدي بتهمة الغش التجاري و التهريب ، لم يصدق تلك التهم الملفقة من وجهة نظره على الرجل الذي يعد بمثابة والده الحنون دون أن يفرق بينه و شقيقته نيلوفر رغم أصوله الأفغانية و سبب معاناته المرة مرارة العلقم في الحلقوم وسط مجتمع يضج بالعنصرية لا يرحم ضحاياه من الأجانب و السنة منذ فجر التاريخ حتى يومنا هذا مدعين أنهم تلاميذ أمير الثائرين و منصف المظلومين الحسين رضي الله عنه ، لم ينس و هو يقلب مفاتيح والده النحاسية التي بقيت من ذكراه بعد مقتله حينما كان يعمل حارسا بحديقة الحيوانات الواقعة بقلب العاصمة منذ العصر الإمبراطوري و إفترسه أسد دون أن ينقذه أحد ، حتى زملائه تفرجوا عليه دون أن يحرك أحدهما ساكنا نحوه ، و منذ ذلك الحين أدرك رحيم ماذا يعني أن تكون منبوذا إلى حد الإبادة حتى و لو كنت حاصلا على جنسية بلادهم و إعتنقت مذهبهم الذين يدعون حبهم المزيف الشديد له و أبطاله المقدسين بالنسبة لهم علي و ولديه الحسن و الحسين رضوان الله عليهم إلى حد التعصب الأرعن ، كان الحاج كريم هو الوحيد من وجهة نظره الذي يعامله بإحترام كسائر البشر لا الحيوانات مذكان جارهم قبيل مقتل والده بسنتين قادما

من إحدى الضواحي الفقيرة بمشهد فبذل كل جهده من أجل نفي هذه التهمة عنه حتى تكللت جهوده بالنجاح قبل أن يكتشف الحقيقة الصادمة له عنه عندما لاحظ وقوع ورقة صغيرة من جيب معطفه الداكن تدينه بجريمة قتل والده مع سبق الإصرار و الترصد على خلفية إغرائه بوضع بضاعته من الكوكايين في إحدى الأقفاص المهجورة داخل الحديقة ، سرعان ما إشتعلت نار الحقد و الكراهية الخامدة في قلبه و تثور بركانا مدمرا أباد بحمم إنتقامه الدفين آلاف الإيرانيين بمن فيهم عائلته الصغيرة قبل أن يحترق بنارها المتوهجة في نهاية المطاف .

الضوء الأزرق

ظل معبد إله القمر (المقه) الواقع في هران أحد الضواحي القريبة من مدينة ذمار يلفه الصمت و السكون الطاغي رهبته كل ركن فيه تحت إيقاعات روحانية تصدح بها تراتيل و إبتهالات دينية يتلوها كاهن المعبد الأعظم (رشو) شرح إيل بن أدد عند تقديمه القرابين في حضرة رب الآلهة الحميرية و إله القمر (المقه) متدثرا بأضواء الشموع و القناديل المنتشرة في المعبد تضاف إليها الأنوار الساطعة المنبثقة من فتحات التهوية و الإضاءة معا خلال منتصف الظهيرة قبل أن يتبخر كل هذا على إثر توقفه عن الكلام فجأة بعينين جاحظتين مخيفتين ملؤها الرعب و الخوف أيضا دفعته في غضون ثوان إلى الدوران حول نفسه بسرعة شديدة جيئة و ذهابا دون توقف يعتريه القلق و الخوف و هو الكاهن الأعظم الذي لم يقلقه متمرد و لم يخيفه ظالم و لم تشغله ذبابة حتى عن أداء عمله أو هزت وقاره أو أهانت كبريائه و لاسيما خلال مناسبات القداس الرسمية التي يشهدها المعبد في شهر أبهي المقدس شهر الخير و البركات عند معظم الحميريين و من قبلهم السبئيين – رجالا و نساء – فالوضع إختلف قليلا هذا اليوم بعدما إقترب منه قبل يومين القيل سمه يفع بن ذو رعين أحد أقيال مخلاف الحداء الكبار و أهم المغدقين بمعظم تبرعاته الضخمة على المعبد من أموال و قرابين للإله في معبده المقدس بهران ،

إضافة إلى الحروب و المعارك الدامية التي خاض غمارها بأمر من ملكه شمر يهرعش الثاني ضد أعدائه من قبائل خولان القديمة و يحير و ردمان و إنتصر فيها بقسوة لا تغتفر مخلفا وراءه العديد من القتلى و الجرحى و الأسرى في صفوفهم نساء و رجالا و أطفالا و شيوخا و أمهات ثكلى يتحلفن الحزن و الألم في أحشائهن الواهنة عمت أخبارها و قصصها المرعبة أرجاء المعمورة و بثت الرعب في نفوس سكانها بمختلف أعمارهم و تظل تحفر صورها المخيفة في حدقات عيونهم جيلا بعد جيل و يصبح على إثر شهاداتهم قائد جيوش التبع شمر يهرعش الثاني الذي وصلت حدود إمبراطوريته إلى وسط العراق و الشام ، فمن الطبيعي أن يتخلى كاهننا الأعظم عن هيبته و وقاره و عظمته في هذا اليوم و لو لساعات معدودات و عرفنا سر تلك الرعشة الخفية التي سرت جسده الضئيل و توتره الغير متزن أمام زوار المعبد و لاسيما أن الأخير يأتي بغتة و حاملا سلاحه الشخصي أحيانا و دون إستئذان أو إحترام لمشاعر المتعبدين فيه حيث يزيح أحدهم من صدر القداس ليجلس بالقوة عوضا عنه ، و لا يتوقف الأمر إلى هذا الحد فقط بل يتجاوزه إلى التحرش بالنساء الزائرات المتعبدات إلى حد إغتصابهن بغض النظر عن طبقاتهن الإجتماعية على الرغم من إمتلاكه جيشا من الزوجات و الجواري ألا أن رغباته الجامحة لا

تتوقف عند أي حد يذكر حتى الأعراف القبلية و العادات و التقاليد الإجتماعية لا تجرؤ على كبحه البتة .

هذا طبيعي إلى حد ما ، فما من أحد يجرؤ على مخاطبة الملك بأنه عاري الجسد ، حتى تلك الليلة الشبه باردة في ال ٢٢ من شهر ذو علان (سبتمبر) خريف عام ٤٣٥ح / ٣٢٠م عندما دخلت إمرأة شابة بارعة الجمال بيضاء شقراء تدعى بجيلة وصيفة زوجته الأولى أروى إلى المعبد بثيابها الممزقة هاربة من سيدها الذي تبعها إلى هناك ذئبا جائعا يطارد فريسته الجريحة في كل ركن من أركانه دون خشية أو حياء من المقة المعظم و حرمه المقدس في هران و تحاول عبثا الإستجارة منه بكاهن المعبد الأعظم أو سدنته أو حتى الراهبات من بنات جنسها و يتفهمن مرارة وضعها المهين كأنثى كسيرة الفؤاد و الكرامة جراء إغتصابها المتعمد من شخص رفيع المستوى في الدولة و الجيش و القبيلة يدعي التدين و الروحانية و الوقار أمام الجميع و لكن دون جدوى منه ، فلم تغفر وظيفتها في قصره و مكانتها المحتقرة إجتماعيا كإبنة جزار أغنام موسمي يطوف قرى عنس و ما حولها لكسب عيشه قبل أن تضطر للعمل عند سيدتها بعد قتل ربها علي يد أحد الأدم (المرافقين) لعاقل (رئيس) مدينة ذمار شمس بن مرثدهم من بنو ردمان و تتحمل كل أصناف الذل و العذاب و الهوان بين جدران قصره المخملي على الرغم من عطف و

حنـــان مولاتهـــا عليهـــا بـــلا حـــدود ألا أن فاقـــد الشـــيء لا يعطيـــه حتـــى لنفســـه العاجزة عن تحقيقها .

تتعثـــر بجيلـــة عنـــد صـــعودها مـــدرج المـــذبح المقـــدس و تســـقط دون أن تحـــرك ســـاكنا مستســـلمة لقـــدرها المشـــئوم بعـــد أن وصـــل إليهـــا يلهـــث مـــن التعـــب بشـــق الأنفـــس و لاســـيما بعـــدما صـــار كهـــلا لا يقـــوى علـــى الحركـــة فـــتغمض عينيهـــا حابســـة دمـــوع قهرهـــا و تتلـــو يائســـة بعـــض الأدعيـــة و الصـــلوات عســـى أن تـــدفع عنهـــا خطـــره المميـــت ، و مـــا أن بـــدأ بغـــرز مخالبـــه علـــى جســـدها الضـــئيل حتـــى إنبثـــق فـــي غضـــون ثـــوان معـــدودات مـــن أحـــد فتحـــات الزاويـــة الشـــمالية للمعبـــد ضـــوء أزرقـــا باهـــت اللـــون ســـرعان مـــا كبـــل الشـــيخ المتمـــادي فـــي جبروتـــه و عبيثتـــه و تصـــابيه و يشـــل حركتـــه تمامـــا محيطـــا بكامـــل جســـده الـــواهن إحاطـــة السوار بالمعصم .

كـــان ظهـــوره ملفتـــا و غريبـــا للغايـــة و لاســـيما أنـــه ظهـــر فـــي غيـــر موعـــده المعتـــاد خـــلال فتـــرة منتصـــف الظهيـــرة و بلمـــح البصـــر ليطـــوق الرجـــل بســـرعة البـــرق دون أن يثيـــر إســـتغراب الكـــاهن الأعظـــم شـــرح إيـــل المـــدرك مـــن منطلـــق خبرتـــه الدينيـــة و الكهنوتيـــة أنـــه عقـــاب عـــادل مـــن رب الأربـــاب المقـــه لعبـــد عـــاق مـــن عبـــاده حـــاول التطـــاول عليـــه و زوار معبـــده المقـــدس بهـــران حيـــث لازال حتـــى تلـــك اللحظـــة يعانـــد و يحـــاول التحـــرر مـــن قبضـــته عبثـــا دون أدب الكـــلام أو

حتى حسن اللفظ لدى مناجاته له ،،،،،،،، أبعد قبضتك عني يا هذا ،،،،،،، ويحك ! لقاء وقاحتك في وجه إلهك و عبثك بأرواح الناس و ممتلكاتهم تحت غطاء منصبك الزائل لا محالة و آخرها تلك الفتاة المسكينة التي لا تملك من حطام الدنيا شيء سوى شرفها و كرامتها تطلب مني أن أفلت قبضتي عنك ؟،،،،،، ليست هذه المرة الأولى التي أعصي فيها أوامرك و نواهيك ، فلقد أقدمت على ذلك مرارا و تكرارا و أكفر عنها بجيش وافر من نقوش الإعتراف المحفورة على أفخر أنواع الحجارة و القرابين إلى معبدكم المعظم في هران و بعلم كهنتها أيضا ،،،،،،،، و ما الفائدة ؟ إذا كانت حليمة ستعود إلى عادتها القديمة عاجلا أم آجلا ؟ و لن تتوب توبة نصوح عن أفعالك المشينة ،،،،،،،، و لكن هذه أخر مرة يا إلهي ، أعدك بألا أكررها مجددا .... قولي له شيئا يا بجيلة ، إستحلفك بالله أقبل يديك ، إقنعيه أن يقبل توبتي ،،،،،،،، يا ليت يا مولاي يا ليت ،،،،، لو كان الأمر بيدي و إعتقدت أن إغتصابي سيجعلك تقلع عن هذه الموبقات و إلى الأبد لتركتك تنهش جسدي كما تريد ، و لكنك تغيرت كثيرا يا مولاي ، فلم تعد ذلك الفارس المغوار الذي ذاد عن بلاده ضد أعدائها الداخليين و فرض الأمن فيها أسدا جسورا لا يخاف في الموت لومة لائم ، و أرهب بشجاعته و ببسالته ممالك الجزيرة العربية و عمان و البحرين و العراق و الشام و فارس و

الـــروم لدرجـــة إرتســـام صـــورتك المرعبـــة فـــي ذاكـــرتهم ليصـــبحوا تحـــت ســـطوتك خاضـــعين لجيـــوش الإمبراطوريـــة الحميريـــة الممتـــدة مـــن الفـــرات إلـــى بحـــر العـــرب و مـــن البحـــر الأســـفل إلـــى بحـــر القلـــزم ، فـــاذا بـــك الآن تظهـــر قوتـــك علـــى الأضـــعف منـــك نســـاء و أطفـــالا و شـــيوخا و عبيـــدا و عامـــة لا ناقـــة لهـــم و لا جمـــل مـــن أبنـــاء بلـــدك دون حســـيب أو رقيـــب ، لكـــن لـــيس الـــذنب ذنبـــك بـــل ذنـــب أفـــراد قبيلتـــك و شـــعبك الـــذين بـــالغوا فـــي مـــدحك و تمجيـــدك و رفعـــك للآســـف إلـــى مصـــاف القديســـين و الانبيـــاء أو الآلهـــة و العيـــاذ بـــالله ، أعـــذرني يـــا مـــولاي علـــى جرأتـــي و وقـــاحتي بألفـــاظ نابيـــة نحـــوك .... اهـــئ اهـــئ اهـــئ ، فهـــذا مـــن شـــدة حزنـــي أنـــا و مـــولاتي عليـــك لمـــا آلـــت إليـــه حالتـــك و تصـــرفاتك و التـــي ..... و أعـــذرني علـــى البـــوح بهـــا ، لا يقـــدم علـــى إرتكابهـــا ســـوى الأولاد الطائشـــين و الصـــعاليك ..... و و و و اهـــئ اهـــئ اهـــئ و أنـــت أشـــرف مـــنهم جميعـــا ،،،،،، فتنـــدفع بجيلـــة باكيـــة نحـــو ســـيدها المكبـــل بقيـــده الهلامـــي و المـــرتعش بلســـعه الضـــوئي دون أن تتوقـــف عينـــاه عـــن ذرف الـــدموع فـــلا تســـتطيع الإقتـــراب مـــن لهيـــب ســـجانه النـــوراني الـــلاذع بزرقتـــه الســـاخنة إلـــى حـــد القتـــل أو الحـــرق فتترجـــى رب الأربـــاب المقـــه أن يفـــك أســـره الربـــاني الصـــادر منـــه و لازال يـــرزح تحـــت حفـــر مســـاميره الكالحـــة الضـــوء لجســـده الفـــاني لكنـــه ســـرعان مـــا يختفـــي فجـــأة يتبعـــه إنـــذارا حازمـــا شـــديد اللهجـــة بعـــدم العفـــو عنـــه و خادمتـــه فـــي المـــرة القادمـــة و معاقبتهمـــا معـــا عقابـــا الســـماء و

الأرض دون رحمة قط إذا ما كرر الأول أخطاؤه السابقة ، ليتحرر من قيده الخانق المرعب حد الإذلال حتى إندفع بغتة نحو حضنها سعيا وراء إرتشاف عطفها و حنانها طفلا رضيعا مرتعشا باكيا من شدة الخوف تقوده إلى التشبث بها و كل ما يصدر منها من هدهدة و غناء و نصائح و تهدئة له فلينقلب رأسا على عقب و يقذف بتصرفاته السلبية السيئة إلى جحيم النسيان دون رجعة و يعامل زوجته و أحبائه باللين و العطف و الحب و يصلح ما أفسده في الماضي بحق من ظلمهم و يصبح إنسانا سويا طاهرا من خطاياه براءة الذئب من دم يعقوب بفضل حب بجيلة و زوجته له و يحصل على رضا المقه و بقية الأرباب ذات حميم (الشمس) و عشتر (الزهرة) الأبدي حتى بعد أن قضى نحبه و إنتقاله إلى السماء العالية دون أن يقدم لهم نقش إعتراف واحد أو حتى قربانا يذكر مرة أخرى .

العدالة الإسفنجية

ظل أعضاء المحكمة الإبتدائية الموقرة في منطقة شعوب و على رأسهم قاضي الإستئناف محمود القاسمي في شعبتها الجزائية يتربصون بالمدعى عليه الأستاذ عبدالكريم حسان ريب المنون محاولين إلباسه تهمة القذف العلني بحق ثوابت الأمة الوطنية و الدينية بالقوة و بشتى الوسائل تحسبهم من تصرفهم المشين هذا أبا قاسي القلب يقتل إبنته بدم بارد ليغسل شرفه من العار الذي لحق به أمام الناس و العادات و التقاليد البالية كما يزعم و هو في قرارة سويدائه يحترق ندما و يعلم بأنها بريئة براءة الذئب من دم يعقوب ، و لكن يبدو أن الثلاثة قد بات لديهم خبرة عالية في تلفيق التهم و إرتكاب المخالفات القانونية في كافة القضايا من جرائم القتل و السرقة و الأراضي و المعاملات التجارية و الأروش[1] و الحدود الشرعية التي لا تطبق سوى على الطبقات الدنيا فقط ، و كل هذا تحت رداء عدالتنا الإسفنجية العاجزة حتى عن إمتصاص الأوساخ العالقة بها .

و ذنبه الوحيد أنه كتب مقالا في جريدة الوثبة ينتقد نقدا بناءً خالٍ من الألفاظ النابية السلبيات التي تعم بلده حكومة و شعبا على كافة الأصعدة بمن فيهم رجال السلطة القضائية و الذي يعد فسادهم بمثابة دليل على قمة الإنفلات و الفساد الخلقي السائد في المجتمع بأسره فقيرهم كان أم

[1] جمع أرش و هي كلمة صنعانية تعني دية الجروح في الجسد وفقا للقانون العرفي القبلي و الشريعة الإسلامية (المؤلف) .

غنيهم ، مسئولين كانوا أم مواطنين ، لذا يريدون إلصاق التهمة به حتى يصدر بحقه حكما بالجلد ثلاثين بل قل مائة جلدة ينهالوا بها على جلده الهش و يسلخونه عن عظامه الناتئة بسياط مصنوعة من المطاط المقوى كتلك التي تستخدمه مخابرات الأمن الوطني المركزي أو السياسي كما يحلو للعامة تسميته دون رحمة أو شفقة تذكر تنفيذا لحد القذف كما يزعمون المنصوص عليه في الشريعة الإسلامية السمحة التي لا يفقهون منها سوى الذي يخدم مصالحهم حيث لا يأخذون منها سوى الذي يعجبهم و الباقي يقذفون به عرض الحائط و لاسيما بعد أوكلت لأمثالهم من فقهاء الظلام بكافة طوائفهم الذين أصبحوا يسودون البلاد بإسرها بعدما قررت الدولة على إثر حرب صيف ١٩٩٤م تحويل نفسها إلى دولة ثيوقراطية (دينية) على غرار النموذج السعودي المجاور لنا طمعا في أموالـه مواطنين كانوا أم مسئولين و من كافة المشارب و المذاهب و الأطياف ، و تريدون جلدي لأنني متهم بجريمة القذف العلن كما تزعمون أم لأني قلت الحقيقة ؟ أية حقيقة يا هذا ؟ الحقيقة المرة التي تكشفكم و أمثالكم من أدعياء الدين و الوطن و العروبة حكاما و مسئولين و قادة عسكريين و شيوخ قبائل و رجال دين من كافة المذاهب مدى فداحة إستغلالكم لوطني إلى حد بيعه إلى أقرب قاطع طريق يدفع لكم أكثر ، فبعتم أراضينا السليبة إلى السعودية و عُمان مقابل جبال من الذهب ناسين

دم شـــهدائنا الـــذين ضـــحوا بـــأرواحهم مـــن أجـــل إعادتهـــا للســـيادة الوطنيـــة و مشـــاعر ســـكانها الـــذين فقـــدوا الأمـــل بـــالرجوع إلـــى تـــراب بلـــدهم الطـــاهر و يرزحـــوا تحـــت وطـــأة الســـادة الجـــدد ، و مـــع ذلـــك لـــم تشـــبعوا فـــإلتهمتم خزينـــة الدولـــة جرذانـــا جائعـــة تجـــثم بـــلا هـــوادة علـــى أكيـــاس الحبـــوب القماشـــية البنيـــة اللـــون دون أن تبقـــي منهـــا شـــيئا فيعوضـــونها بالرشـــاوي و التبرعـــات مـــن الـــدول المانحـــة دون أن تصـــرفوا قرشـــا واحـــدا علـــى فقرائنـــا و موظفينـــا الـــذين لا يجـــدون حتـــى قيمـــة أجـــرة التاكســـي أو وســـائل المواصـــلات لتوصـــله إلـــى مقـــر عملـــه الـــذي لا يحتـــرم حقوقـــه كإنســـان عامـــل لـــه العديـــد مـــن الحقـــوق و الواجبـــات كمـــا نـــص عليـــه قـــانون العمـــل حتـــى فـــي حقـــه بالمرتـــب المناســـب و بالراحـــة المطلوبـــة ، و فـــي دولتنـــا صـــار الظـــالم مظلومـــا و المظلـــوم ظالمـــا و ســـادت الفوضـــى بكافـــة أنواعهـــا كافـــة المحافظـــات و المـــدن و الأريـــاف فأصـــبحت المدينـــة ريفـــا أكثـــر مـــن القـــرى المجـــاورة لهـــا و الأســـلحة أصـــبحت بمتنـــاول الجميـــع حيـــث أصـــبحوا مـــن خلالهـــا يحلـــون مشـــاكلهم مـــن كافـــة الأنـــواع الهامـــة و التافهـــة بهـــا تحـــت شـــعار الديمقراطيـــة الشـــكلية ، أمـــا أن ننتقـــد و لـــو نقـــدا بنـــاء رئـــيس الجمهوريـــة أو بقيـــة الخطـــوط الحمـــراء فتعتبرونـــه خائنـــا و متهمـــا بالخيانـــة العظمـــى و يســـتحق الإعـــدام ، لكـــن الحـــق لـــيس علـــيكم بـــل علـــى شـــعبي المتخلـــف الغبـــي الـــذي أصـــبح يحتقـــر التعلـــيم و يعتبـــره جريمـــة و لا يعتـــرف بالعمـــل كقيمـــة إجتماعيـــة و يريـــد المـــال دون أي تعـــب و يحتقـــر نفســـه

و حضارته العريقة و يجرم أي شخص يحب وطنه تحت مبرر الشريعة الإسلامية من أجل بلدان و شعوب أخرى دون مستواه ..... و كل هذا من أجل ماذا ؟ من أجل المال ؟!! من أجل تأشيرة دخول إلى دول الجوار أو الخليج العربي عامة يبيع وطنه ؟ إخرس يا هذا ، لا تحتقر هيئة المحكمة و ألا وضعناك في السجن ، السجن ؟ أنا أساسا يا سيادة القاضي مسجون في بلدي من قبل أن يلقى القبض علي بهذه التهمة السخيفة و أمثل أمام محكمتكم الغير موقرة ، فإذا كنت مذنبا في نظرك و دون دليل فلا داعي للثرثرة و أصدر حكمك بجلدي الآن بالسياط و المسطرة .

أصدر القاضي حكمه بالجلد على ماجد حسان و لكن بعد أن أصدره المدعى عليه على نفسه دون تأجيل يذكر أو تدخل من محامي الدفاع حتى الذي لن يغير من الأمر شيئا في عدالة لن يتبدل حالهم بين ليلة و ضحاها بجرة قلم ، فما بالك بسكان هذا البلد ؟ لم يتوقف ماجد بالتفكير في ذلك حتى بعد ولوجه سجن الأمن الوطني ليدرك أن منذ تلك اللحظة أصبح رهن الإعتقال بحكم مخالف للقانون ليظل حبيس جدرانه الإسمنتية الجرداء إلى غير رجعة .

الإنارة الخلفية

هل ستضأ أم لا ؟ هل ستضأ أم لا ؟ و متى ستضأ ؟ و لماذا لا ينتظمون في مواعيد الإطفاء و الإضاءة ؟ أم أنهم قطعوا التيار عنا نهائيا ؟ ..... و غيرها من الأسئلة التي ظل عرفان الفليحي يقحم عقله الهلامي الصغير بحجم خوذة عامل بناء و يرهق نفسه بتكرارها كل يوم و هو يدور في رواق غرفة المعيشة جيئة و ذهابا متأملا من نافذتها المهترئة إلى عمود الكهرباء الخشبي المنصوب وسط حارته الضيقة بمنطقة العلمي في صنعاء ينتظر قدوم التيار الكهربائي إلى منزله مواطنا عاديا ينتظر إنتهاء حالة حظر التجول أو سجينا يطلب من الحارس الإذن بالذهاب إلى دورة المياه هذا إذا سمح له بذلك ، و كل هذا يحدث أمام والديه المشفقين على حالته التي تدعو إلى الرثاء أو بالأحرى الجنون المطبق و لاسيما أنه لا يزال يعاني الإنطوائية المفرطة التي غمرت جسده منذ الصف الثاني الإعدادي و بدأ أصدقاؤه الأقرباء و البعيدون يتركونه إلى درجة المقاطعة المقصودة أو الغير مقصودة على حد سواء و لا يتذكرهم إلا في المناسبات دون أن يبادلوه بالمثل بعدما أضحى الأمر سيان بالنسبة لهم و لن يغير من الوضع شيئا مما جعله ينكفئ على نفسه وراء كتبه و كتاباته التي لم تنشر و لن تنشر مادام يقطن العاصمة المهترئة كما يسميها صنعاء التي يمقتها منذ صغره و دفعته إلى الإنعزال خلف حاسوبه المنزلي يدون إبداعاته الأدبية

فيها عل و عسى و التلفاز يلقب فيه القنوات الفضائية من كافة البلدان و التيارات الذي قدم له العالم على طبق من ذهب و هذان الشيئان اللذان دفعاه لتلك الحالة الهستيرية و هو يتأمل إنارة عمود الكهرباء متى تضأ ، فلم يتحملا منظره المؤلم هذا فقررا التدخل و محاولة تهدئته بشتى الطرق و أحيانا الضرب رغما عنهم تغمرهما أنهارا من الدموع و هما طوال عمرهما لم يمدا يديهما على إبنهم الوحيد البتة منذ نعومة أظافره حتى الآن و لاسيما و أنهما ضاقا ذرعا بتصرفات الدولة و مبرراتها الكاذبة فيما يتعلق بالكهرباء و عندها ما يكفي من وقود هائل لتشغيلها مدة ٢٠ سنة أخرى و لديها القدرة على حمايه مرافقها الأساسية من المخربين الذين يتأمرون بأمرها ، و لم يقف الأمر إلى هذا الحد ، بل وصلت الوقاحة بمسئوليها أن يأمروا موظفيها المرتشين بتحصيل الفواتير الباهظة الثمن من الفقراء و الموظفين من ذوي الدخل المحدود دون الأغنياء و المسئولين الفاسدين منهم و هم يعلمون أن الأولان ليس لديهما القدرة على تسديدها البتة و الكهرباء لم تصل إلى بيوتهم بعد منذ ستة اشهر .....

لقد أضاؤا الكهرباء يا أماه لقد أضاؤا الكهرباء يا أبتاه ، نعم يا بني ، لقد رأينا ذلك يا حبيبي ، فقر عينا .

و بتشجيع من والديه إلى العمل على حاسوبه حتى يكمل كتابة روايته الرابعة إنطلق إلى غرفته الصغيرة طفلا صغيرا يندفع إلى مدرسته حاملا حقيبته المزركشة بالرسوم المتحركة مودعا والديه بآيات التهاني و التبريكات سعيا إلى وراء دنيا جديدة و عالم جديد و من قبله أمل جديد قبل أن يتخبر كل شيء و يعتريهما الأمل و الرعب و الفجيعة عندما تسقط قذيفة طائشة أو متعمدة من أحد المسلحين المعتلين متن سيارة نقل بغمارتين (هيلوكس) إلى حجرته و سرعان ما تنفجر و يتحول جسد إبنهما الوحيد إلى أشلاء متفرقة في كافة أرجائها دون أن يحقق أمله بالخروج من قعر مدينته الكئيبة المهترئة الجحود إلى الآفاق الواسعة بعيدا من قضبان العادات و التقاليد و الأعراف المفتعلة من سكانها و التي تميت شبابها يوميا دون توقف أو ندم بما إقترفته أيديهم بحق أبنائهم الواقعين بين مطرقة مجتمع خال من الرحمة و سندان العقد الإجتماعية التي تعتريه منذ آلاف السنين .

القلادة الطينية

ظلت أسيل تتأمل قلادتها النحاسية اللون و المنبت بعدما أضحت بنية جراء ما تلطخت بطين شواطئ عدن الذهبية و رمالها الذابلة من قهر البشر لها كل صيف حار يحل ضيفا عليها و قبل أن تسقط في قعر بحر العرب المزدحم بما تبقى من حطام و ركام السفن و الطائرات الحربية الايطالية و البريطانية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية قبل أن ينتشلها إبن عمها فارس الكريمي من الغرق في جب ذكريات البحر الحزينة و يعطيها دون أي خدش أو تشوه يذكر ، لم تتوقف أسيل عن التأمل فيها و هي تذكرها بحبها المفقود لفارس بعد أن أجبرها والدها على الطلاق منها و هو غائب عنها يؤدي الخدمة العسكرية في البوسنة مع الكتيبة اليمنية لحفظ السلام علما أنه وحيد أسرته لذا يسقط واجب التجنيد عنه ، و دون أن تنسى ثورة غضبه بركانا جارفا بحممه كل شيء حي إمامه عندما علم بالموضوع و حاول إستعادتها بإعتبارها زوجته و طلاقها غير جائز لأنه تم دون إرادتها و حضوره و لكن دون جدوى حيث ظل قابعا في السجن يتلقى كافة أصنافا العذاب و الهوان من قبل شرطة المنصورة و ولي نعمتها أمجد الذي إضطهدها و إغتصبها دون رحمة قبل أن ينقذها فارس منه و لو بالحيلة عبر زواجه منها رغم الفارق الشاسع بينهما في العمر و الجسد دون أن

يمنعا من إنجراف مشاعره إلى بحيرة قلبها بقوة سيول مطرية تحطم سد مأرب العظيم دون هوادة تذكر .

ظلت أسيل تتأملها مرارا و تكرارا من شدة ما حركت في جوفها الضئيل من مشاعر و أحاسيس جياشة ذكرتها بزوجها السابق اللاحق حاولت كبتها إلى الأبد دون جدوى فمواقفه الكثيرة التي لا تنسى كوقوفه بجانبها في وجه والدها الإستغلالي الصارم الذي كاد أن يقتلها جلدا بالحزام و الحبال و هي مربوطة بالوتد عندما علمت أن شقيقته ملك حاولت الإيقاع بها لديه بتهمة إرتكابها الفاحشة مع شخص غريب و تعد بنسبة لمجتمعنا المحافظ جريمة شرف يعاقب عليها بالقتل رغم التطور و التقدم الحاصل في كافة فئاته و مجالات حياته اليومية التي طرأت عليه منذ السبعينات حتى منتصف التسعينات من القرن المنصرم ، إضافة إلى تخصيصه مبلغا كبيرا من حسابه في البنك وديعة لتصرف من خلاله على تعليمها الجامعي على الرغم من أنها أحبت شخصا أخرا غيره ليس حبا في زيد بل كراهية في عمرو حيث تزوج شقيقتها الكبيرة روان متحملا مسئولية خطئه الذي إرتكبه بحقها و الذي أسفر عن ولد غير شرعي من قبله كما أدعت الأولى لتكشف لأسيل بأنها كذبت عليه و نسبت الولد له زورا و بهتانا حتى لا يتعلق بها و ينتزع جميع المشاعر الجارفة نحوها من سويداء قلبه و لا يتسع ألا لها فقط و تقع فريسة لغيرتها الخانقة و نارها المتأججة في

صدرها الضعيف لحظة مرضها و حتى بعد وفاتها ظل رمادها يغمر شقيقتها الصغيرة التي كانت تخشى أن يحب إمرأة غيرها بعد فترة الجفاء القصيرة التي لم تتجاوز ثمانية شهور أضحت في مخيلتها السوداوية سنينا طوال دون أن تمحي صورته الثابتة فيها و يبدأ غبارها الغارق في التشاؤم و اليأس بالتبخر بين ليلة و ضحاها بعدما أوصتها بأن تتزوج فارس قبيل وفاتها من جراء إصاباتها الناتجة عن إعتداءات الشرطة المبرحة لها و هي تحاول عبثا إنجاد زوجها من أيديهم دون جدوى قبل أن يفجر غضبه نحو رئيسهم خلال مراسيم جنازتها و يحدث في جسده السمين عاهات مستديمة لا تلتئم في يوم و ليلة و بدأت مشاعرها الحبيسة زنازين قفصها الصدري الصغير الحجم تتحرر من قيوده جارفة ما حولها من الآلام و عوائق في طريق لقائها بحبيبها و زوجها الأول قبل أن تفاجأ بالعكس حيث سرعان ما صدها و قذف بمشاعرها و جسدها خارج بيته و حياته البتة تحت سيل هادر من دموعه لم تنتظر أوامره بالخروج من مآقي عينيه لتعرف أن حبه الشديد لدرجة خوفه من أن يكون مصيرها كشقيقتها روان لتلملم ما تبقى من مشاعرها نحوه لعل و عسى يعود قبل أن يتجدد أملها بذلك عندما أوقفها لحظة مغادرتها فيطوقها بكل ما أوتي من قوته تحكم السوار بالمعصم باكيا أمامها دون توقف لتبادله بالمثل و تتحسس جسده الذي

طالما تتوق لملامسته مرة أخرى ليتبادلا الإعتذارات على أشياء لم يرتكباها بحق بعضهما البعض .

لم تتوقف أسيل عن تحريك قلادتها الطينية و تأملها مرارا و تكرارا حابسة دمعها بشق الأنفس خشية ألا تستعجل اليأس و مخافة ألا يأتي إلى مسرح التواهي البلدي البتة قبل أن تسمع خطو متسارع نحو القاعة لتختبئ خلف الستارة من القادمين حتى لا يروها و لاسيما أنها إدعت أمام الحضور بأنها لن تستطيع المشاركة في المسابقة الخاصة براقصي التانجو من كلا الجنسين و من بينهم شاب كانت تواعده قبل أسبوع بالصدفة تكتشف أنه واحد من تلاميذ زوجها بحجة أن ساقها تؤلمها و شيئا فشيئا تبدأ بالظهور إلى الخشبة عند سماع صوته و هو يدخل بمعية ملك التي تفاجأت بحضورها سليمة معافاة دون أية إصابة في ساقها تذكر مما آثار غضبها و خوفها في أي لحظة تقدم أخيها نحوها ببطء ، ماذا تفعلين أيتها الكاذبة هنا ؟ ، لم تقولي بأنك مصابة و تبجحت بألمك المزعوم ؟ ،،،،،،، يكفي يا ملك ربما أن هناك سبب ما وراء تصرفها هذا ؟ ،،،،،،،، هذا صحيح ، فأنا كنت أشعر بألم في ساقي و لكن بعد قليل من التدليك و الراحة أحسست بتحسن كبير ، صدقني .

حاولت ملك الرد عليها فيوقفها فارس و يطلب بإلحاح شديد المغادرة إلى بيته فتوافق على مضض و تنصرف مكرهة إلى بيته دون يوقف نيران حقدها المستعر نحوها للحظات ، و مع ذلك توقف مكانه و لم يواصل المسير نحوها ،،،،،، هل أنت خائف مني أم خائف من أختك ؟ ،،،،،، و هل أنت خائفة من أبيك المتعجرف أم من أمك الخانعة ؟ ،،،،،،، أم نحن خائفان من المجتمع الجاثم على أفراده الخانعين للدولة الظالمة الخانعة لجيرانها و كلاهما يحيط بنا إحاطة السوار بالمعصم دون أن يدعنا نتنفس هواء حريتنا الشريفة و الذي لا يعجبه العجب و لا الصيام في رجب ؟ ،،،،،،، لا أعلم ،،،،،، لا أعلم ، و لكني أعلم أننا نستطيع التفكير في مصيرنا المحتوم الذي يجمعنا حتى و لو تحت سقف أبي الفنون يذكرنا بأول لقاء قادنا إلى القفص الذهبي .

تأمل فارس فستان الساتان الأحمر التي إرتدته خلال المسابقة و هو نفسه الذي رآه قبل ثلاثة أعوام في بيت إبن عمه بلال و رقص معها على إثرها رقصة التانجو[٢] التي يعشقها و على أنغام أغنية صلاح العمر (تعال نمشي) و مواطنه صادق الجليلي (إلى البعيد) و فجرت مشاعرهما المكبوتة التي إنبثقت لحظتها من أجسادهم الصغيرة المرهفة لتتحول إلى ألعاب نارية تضيء قلوبهم فرحا و سعادة و تصبغ مرارة الوضع الذي يعيشونها

[٢] رقصة شعبية من الأرجنتين (المؤلف) .

بحلم وردي سرعان ما تم التضحية به على مذبح العادات و التقاليد البالية المقدسة في عرف المتشبثين بها و المتسلطين على غيرهم بإسم الدين و الشرف دون أن يعرفوا جوهرهما ..... سرعان ما توقف فارس عن الإسترسال في الماضي و يتركها مذهولة مسرع الخطى إلى الخارج دون أن يجيبها بشيء لتدرك من تجاهله الجواب الصعب على سؤالها الحائر بأنه لم يعد بإستطاعته تكرار تجربة الماضي السعيد القصيرة المدى قبل أن تكتشف إختفاء قلادتها فجأة من على صدرها فلم تسع للبحث عنها داخل القاعة بل إندفعت مسرعة نحوه فرسا جامحا تسعى للقاء حبيبها المنتظر دون أن تبالي بلجنة التحكيم أو الناس أو حتى الفتى التي كانت تواعده مذهولين من سرعتها قبل كذبها الفاضح و ما أن وصلت إلى خارج المسرح متلفتة يمينا و يسارا تبحث عنه و سرى الرعب جسدها من قمة رأسها حتى أخمص قدميها فإذا بها تشعر بشيء يعقد حول عنقها فتفزع من وجود قلادتها على صدرها فيشتد فزعها أكثر عندما يطوقها شخص من خلفها فتحاول الصراخ ملتفته له قبل أن يسكتها لتكتشف أنه فارس الذي أخذ القلادة منها بخفة ساحر محترف و يقبل جبينها ليهدئ من روعها فتغمرها السعادة مرة أخرى عندما يلبسها خاتما ذهبيا و تزداد سعادتها أكثر عندما تلبسه الخاتم الآخر ، فلقد عرفت أنه تزوجها مجددا

و بـــالنفس الطريقـــة القديمـــة دون أن يبـــالي بأحـــد أو يعيـــر الإهتمـــام لأي ظـــرف كان .

حقيبة التمساح

ظلت تتلفت بسرعة البرق بعينين جاحظتين يأكلهما القلق و التوتر يمين ..... يسار ..... يسار..... يمين ..... يسار ..... يمين ..... يسار ..... و هلم جرا، ماذا دهاك يا فتاة ؟!! ماذا دهاك ؟!!! ظل سائق الأجرة يسال تلك الفتاة الجالسة بقربه تتلفت أمامه يمينا يسارا يجتاحها سيل من الرعشات المفاجئة يسري جسدها الضامر طفلا صغيرا أصيب بالحمى من جراء برودة الجو دون أن يعلم بأنها ليست أول مرة تنتابها مثل هذه الحالة منذ أن رحل والديها عن بلدهما اليمن إلى أرض الميعاد عام ١٩٤٨م كغيرهم من أتباع الديانة اليهودية في العربية السعيدة الذين رحلتهم السلطات الإستعمارية البريطانية بتواطؤ من الإمام[٣] خلال عملية بساط الريح الشهيرة مختارين و مجبرين على حد سواء إلى من كانوا يعتقدون أنها ستكون وطنهم الخاص بهم و ملتهم قد أن يتبخر هذا الوهم و يتحول إلى سراب يحسبه الظمآن ماء عذبا فراتا و عانا الأمرين هناك إنتهى بمقتلهما خلال أحداث حي الفهود السود في القدس الغربية عام ١٩٧٥ م ، و منذ أن بلغت سن الثامنة عشرة و سارة العلمي المولودة في العجمي بحيفا عام ١٩٦١م أو سارة عجنون كما هو مكتوب في بطاقتها الشخصية المفروضة عليها حتى تتمكن من العيش و العمل بعد لم تستطع

[٣] يقصد به إمام اليمن الشمالي يحيى حميد الدين (١٩١٨-١٩٤٨م) (المؤلف) .

إكمال دراستها الجامعية بسبب المضايقات العنصرية التي كانت تتعرض لها من قبل من ينتمون إلى الإشكنازيم[٤] و الذين معظمهم يعتنقون الديانة المسيحية لا اليهودية لكنهم صهاينة حتى النخاع حتى مع أتباع ملتها الملتزمين حيث لا زالوا يلحقون بها حتى تلكم اللحظة و بعضهم كانوا زبائن دائمين عندها في البار الذي تعمل فيه بنت هوى كأمها بحي الهيكل بتل أبيب و لاسيما بعد فرارها و شقيقها الكبير حاييم من المجزرة التي إرتكبتها قوات الأمن و الجيش ضد حي اليهود الشرقيين القريبة من شارع المنشية القديم بيافا و التي خلفت ٢٠٠ قتيل من الأطفال و النساء و الرجال عام ١٩٦٤ م بعدما قرروا الثورة ضد أوضاعهم السيئة الإقتصادية البائسة و التي لم تسع السلطات الرسمية هناك إلى التفكير حتى بتحسينها البتة قبل أن تخسر حاييم بعد مقتله في حرب ١٩٦٧ م دون أن يحصل على معاش تقاعدي محترم ينقذها من ذل الحاجة و السؤال لتدخل في صراع مع زوجته التي إستولت على بيته و محل البقالة الصغير المتواضع الذي إستأجره من احد أقربائه الذين يعملون في تجارة السلاح للجيش الإسرائيلي و الفلسطينيين على حد سواء و تقذف بها إلى قارعة الطريق و تعود إلى المستنقع الذي أتت منه دون رفيق أو زوج ماعدا أحد الجنود المترددين على الحانة التي كانت تعمل فيها و أقامت علاقة معه و

[٤] اليهود الغربيين المنتمين لشعب الخزر التركي (المؤلف) .

تمخض عنها إبنا غير شرعي ظنت أن من خلاله ستضغط عليه و تجبره على الزواج منها و تحسين وضعها المادي و المعنوي نوعا ما و لاسيما أنه إبن أحد المسئولين الكبار في جيش الدفاع الإسرائيلي و لكن دون جدوى فإضطهدها و قتل ولدها الرضيع دون أن يحرك أحد ساكنا لصالحها حتى المحاكم لم تنصفها في قضيتها البتة ، و لم يقف الأمر عند هذا الحد بل وصل إلى قيام عشيقها السابق بإغتصابها دون رحمة أو شفقة و كادت على إثرها أن تنتحر لولا تتدخل رفيقتها في العمل ميسا و رعايتها لوجدت جثتها على شواطئ تل أبيب الإسمنتية الباردة ..... و غيرها من الأحداث و الذكريات الصغيرة و المرعبة في الوقت ذاته و اللاتي لم يستطع عقلها المحدود و الصغيرة بحجم الكمثرى تحمل إختزانها فيه لسنوات عدة و حاولت نسيانه البتة متخيلة بلدها الأصلي اليمن و هي في طريقها إلى مرفأ أشدود الواقع شمال غزة حيث ترسو السفينة القادمة من قبرص التي ستصعد على متنها حيث يبدو من ظاهرها أنها مخصصة لشحن الحبوب لكنها في الأساس هي واحدة من سفن تهريب البشر و الإتجار بهم و الذين يريدون الخروج من إسرائيل مسيحيين و مسلمين و يهودا على حد سواء مقابل مبالغ ضخمة من الدولارات أو الخدمات الرخيصة للقائمين عليها لترحيلهم إلى أي مكان يريدونه حتى ولو كان الصومال على سبيل المثال ، لم تكترث سارة بذلك فحلم إحتضانها

لتـــراب وطنهـــا الغـــالي الـــذي لا تـــذكر منـــه ســـوى إســـمه و موقعـــه الجغرافـــي فـــي ذاكرتهـــا المليئـــة بالأوجـــاع و النكبـــات المؤلمـــة التـــي لـــم تـــرحم شـــبابها و طفولتهـــا الضـــائعين فـــي بحـــر مـــن الأحقـــاد و الكراهيـــة التـــي ظـــل مســـقط رأســـها يعـــج بهـــا حتـــى و لـــو كـــان ضـــد أبنـــاء ملتهـــا و بـــدا إحساســـها بـــالعودة إليـــه يـــزداد قـــوة و إصـــرارا كلمـــا اقتربـــوا مـــن ســـواحل عـــدن الذهبيـــة شـــيئا فشـــيئا ، فتتســـارع نبضـــات قلبهـــا دون توقـــف ملؤهـــا الحـــب و الأمـــل يســـري علـــى جســـدها بهجـــة و ســـرور معتقـــدة إنهـــم سيســـتقبلونها بالأحضـــان و الترحيـــب إبنـــا ضـــالا عـــاد إلـــى حضـــن والديـــه الـــدافئين بعـــد كـــل هـــذه الســـنين و يغفـــروا لهـــا مـــا فعلتـــه بحقهـــم و وطـــنهم علـــى إثـــر هجـــرة والـــديها إلـــى أرض الأعـــداء المتـــآمرين علـــى الأمـــة العربيـــة منـــذ ٦٥ ســـنة مضـــت و لا زالـــوا إلـــى يومنـــا هـــذا ، لتتبخـــر كـــل هـــذه الأحـــلام الورديـــة الصـــغيرة تحـــت حـــرارة الرصـــاص الســـاخن ولـــم تنطفـــئ جذوتـــه الـــذي اختـــرق جســـدها دون ســـابق إنـــذار لحظـــة وصـــولها بيـــتهم القـــديم بحـــارة فـــي صـــنعاء القديمـــة الشـــبيهة بزقـــاق ضـــيق بحجـــم حقيبـــة التمســـاح المصـــنوعة مـــن جلـــده و أهـــداها إليهـــا أحـــد زبائنهـــا المهمـــين فـــي الملهـــى الليلـــي الـــذي كانـــت تعمـــل فيـــه بعـــدما أفلتـــت مـــن يـــد رجـــال أمـــن الجمـــارك فـــي المينـــاء بصـــعوبة أطلقهـــا عليهـــا مجموعـــة مـــن شـــباب الحـــي العـــاطلين الطائشـــين المتـــدثرين تحـــت غطـــاء التـــدين الزائـــف الـــذي غمـــر الـــبلاد منـــذ ســـقوط النظـــام الشـــيوعي فيهـــا عـــام ١٩٩٤م بعـــدما أخبـــرتهم بأنهـــا يهوديـــة و مـــن أهـــل هـــذه المنطقـــة بمنتهـــى

السذاجة و البراءة التي إعتادت عليها لتسقط صريعة أملها و هدفها بالعودة دون أن يمنعها من تلمس تراب بلدها الطاهر و تخضيبه بدمائها الجريحة من آهات السنين و غدر الزمن راسمة على شفتيها إبتسامة كبيرة يغمر شفتيها أملا و رضا و سعادة لا توصف دون أن توقف تدفق أحقاد الماضي المفتعلة إلى الأجيال القادمة .

ربيع الشحاذين

لم يدر بخلده أن ربيع السنة الحالية سيشهد أتعس موسم له و أمثاله من الشحاذين المحترفين لهذا الحقل الموبوءة منذ عشرات السنين و هم الذين إعتادوا على الدوام بأن شوارع صنعاء و أزقتها القذرة ترفد بأمثالهم على أرصفتها أضحت ملكا خاصا بهم توارثوا عرشها العفن جيلا بعد جيل لا ينافسهم على السيطرة عليها أحد بمن فيهم رجال الشرطة العازفين عن فرض هيبتهم و سيادة دولتهم على أرجاء المدينة المشوهة حتى بعدما أجبرت في العصور الحديثة على أن تكون عاصمة للبلاد رغم تخطيطها الحضري السيئ طوال عقود من الزمن إرضاء لفئة معينة من أبنائها الذي لازالوا يتربعوا على عرش السلطة و يتشبثون بمقاليد الحكم و الجيش بأسنانهم منذ قيام ثورة ٢٦ سبتمبر حتى يومنا هذا ..... الخ .

أدرك هيثم مقبل شيخ الشحاذين في حي المشهد أن ربيعهم السنوي الذي كانوا يتدفقون تحت ظلاله الشبه الوارف لجني رزقهم عبر علمهم الملطخ بإحتقار و إزدراء الناس لهم طوال اليوم ليجدوه قد تغير بين ليلة و ضحاها إلى خريف بارد قاتم جثم على صدورهم طيلة ٣٣ سنة و يضحى وضعهم عسيرا و كئيبا بعدما جوبهوا بمنافسة شديدة من قبل أشخاص و مشردين و ضباط شرطة و مخابرات و فلاحين و موظفين صغار و عمال أجبرتهم

الفاقة و طمع الشحاذين الكبار من شيوخ القبائل و المسئولين و كبار قادة الجيش و شراهتهم على مد أيديهم لمن يعطيهم حتى قيمة أجرة المواصلات ، مما أثار غضب هيثم و رفاقه عندما بدأوا يشعرون أن ربيعهم يؤخذ منهم و شرف مهنتهم يهان أمامهم دون رادع ، فسرعان ما إندفعوا إلى ساحة القصر الجمهوري سيلا جارفا لما حوله مطالبين بإستعادة ربيعهم المفقود و هم على يقين أنه ما من أحد سيستجيب لندائهم أبدا بعدما أضحى الناس الذين يسألونهم الحاجة يلتحفون الفقر و الفاقة المدقعين مثلهم .

المهمة الأخيرة

أسرع يا أخي أسرع ..... أنا مستعجل ! مهلا يا أستاذ مازلنا في الصفحة الأولى من البحث ، فلما العجلة ؟ !!! ..... لما العجلة ؟!!!! إلا تسمع دوي الرصاص و القذائف التي تتناثر في الشوارع و الناس يهرولون لينفذوا بجلودهم من أن تخترقهم و تشتعل فيهم إشتعال النار في الهشيم و تقول لي لما العجلة ؟!!! ... أجل أيها السيد ، لأن الرصاص بعيدا عنا ، ثم هناك العديد من أصحاب الدكاكين و المحلات المجاورة لنا مازالوا فيها يعملون بتفان و إخلاص غير آبهين بما يجري ، لذا هدئ من روعك و دعني أكمل ما بدأته للتو رجاء يا أستاذي .... إجلس و إشرب كوبا من الشاي على حسابي و لا تخشي شيئا ..... كل الأمور ستسير على ما يرام ، لا تقلق .

جلس الأستاذ الكهل بهدوء متأملا و مذهولا إزاء إصرار محمود الغفري الذي يدير مركزا متواضعا للأنترنت على شارع مازدا الواقع في حي الحصبة المتولد من طاقة متقدة آنية تسعى لإنهاء طباعة البحث الحالي يدفعه إلى ذلك حبه و احترامه لأستاذه الذي علمه مادة الأحياء في مدرسة الطوقي الإعدادية منذ الثمانينات ثم حبه و تفانيه في إتقان عمله حتى و لو كان بالمجان ، فلم يشغله أي شيء طارئ عما يقوم به الآن ،

إستمر القتال و الرصاص في التناثر و الناس يفرون من لهيبها المشتعل في كل مكان حتى وصل إلى أطراف مركزه و مع ذلك إستمر في عمله رغم إلحاح أستاذه الشديد بالتوقف و لم يحل أمام تنفيذ مهمته أي حائل أو يردعه عن إكمالها رادع من شدة إخلاصه و حبه الشديدين للعمل طفلا صغيرا مهووس بلعبته إلى حد التهور ، فلم يكترث بدوي المدافع الخفيفة كانت أم الثقيلة و لعلعة الأعيرة النارية المتدفقة منها و لا بالجثث المتناثرة على الشوارع و الأرصفة القريبة كما لو كانوا يصطادون سربا من الجراد الأفريقي الذي يهجم على الحقول و يأكل الأخضر و اليابس فيها على حد سواء و سرعان ما يلحق أستاذه بهم و يقضي نحبه معهم و مع ذلك ظل هاجس إنهاء المهمة التي هو بصددها يسيطر عليه دون هوادة فإستمرت أصابعه الخمسة في الضرب على أزرار لوحة المفاتيح بسرعة قطار ا لتي جي في الفرنسي الذي يبلغ مداه ٥٠٠ كيلومتر في الساعة حتى بعد أن إخترقت رصاصة طائشة كليته اليمنى ثم تتالت نظيراتها في أرجاء جسده الضئيل الشاحب من كثرة الجهد الزائد و السهر الكثير دون أكل أو شرب ، و لم يسقط على منضدة حاسوبه و مفارقا الحياة إلا بعد أن كتب آخر كلمة فيه و طبعه حيث خرجت جميع الأوراق من الطابعة بعد أن صعد روح كاتبها إلى الرفيق الأعلى في يوم من حياته المتواضعة لا ينسى .

الجائزة الوهمية

سيعلنون عن الفائز أم لا ،،،،،، سيعلنون عن الفائز أم لا ،،،،، و إذا سيعلنون عن الفائز ما الذي يؤخرهم إذن ؟ ،،،،، هذا موعده الآن على شاشة التلفاز ،،،،،،

ظل مسعود الحوشبي يحاور نفسه طوال الوقت أمام دهشة زوجته و أولاده المستغربين من إصراره على المشاركة في هذه المسابقة التي ترعاها إحدى الشركات المعلنة على الرغم من إنهم هم أول من دفعوه إلى ذلك حتى يستفيدوا من فوزه فيها و يأخذوا نصيبهم في جوائزها المالية و العينية المغرية و التي يسيل لعابها الفقراء و المحدودي الدخل أمثالهم علها تحسن من وضعهم المعيشي المزرى :

(يجب أن أتصل الآن ،،،،،، توقف يا رجل ليس لدينا ما يكفي من الرصيد ، هل نسيت أنهم قطعوا الحرارة عن هاتفنا الثابت فلم يبق لنا سوى هاتفك الخليوي ؟ ،،،،،،،،، أعرف ذلك ، و لكني أعرف أيضا أنني إذا ربحت هذه المسابقة فسنجني جائزة بقيمة ١٦مليون ريا ل و سيارة و منزل و أوضاعنا ستتحسن جذريا لحظة إعلان الفائز ،،،،،،،، تقول بأن أوضاعنا ستتحسن الآن و كان على يقين بأنك ستفوز بها ،،،،،،، و ماذا في ذلك ؟ ،،،،،، فيها أنك تعيش في وهم كبير ،

لأنك ستدخل في سحب شبيهة باليانصيب و لن يختاروا إلا شخصا من منطقتهم أو جماعتهم أو مذهبهم أو .... ،،،،،،،،،، ما إن أخبرك بهذا الهراء ،،،،،،، أخي عامر هو الذي أخبرني بذلك بحكم معرفته بهكذا أمور تجري في هذا النوع من المسابقات .... ،،،،،،،،، لا تصدقي هذا الأحمق عامر ، أساسا عامر هذا هو سبب ما نحن فيه من فقر و جوع بسبب آرائه السياسية السخيفة تلك ، ثم هذه النعرات الفئوية التي تنخر في مجتمعنا محصورة في توزيع الوظائف و المناصب المدنية و العسكرية فحسب و ليس في المسابقات ، ثم أني حصلت على أعلى الدرجات فيها عن نظرائي المنافسين إلى حد الآن كما قالت مقدمة البرنامج الراعي لها .

و تجري الرياح بما تشتهي السفن و يخيب إعلان إسم الفائز أماله العريضة التي عقدها في هذه المسابقة لدرجة أنه باع ما يملك ليواصل المشوار فيها حتى بلوغه المرحلة النهائية منها بشكل أذهل الجميع بمن فيهم أهله و جيرانه من شدة إصراره عليها دون أن يدروا فائدتها العظيمة بالنسبة له حيث ستصعد به من الثرى إلى الثريا بعدما ظل طوال عمره عامل نظافة متعاقد غير مثبت في صندوق النظافة الحكومي و براتب مثير للشفقة لا يسمن و لا يغني من جوعه و أسرته ، و ما يزيد الطين بلة في أحيانا اخرى لا يستلمها البتة ، حيث كان الفائز من أقرباء صاحب شركة الإتصالات الراعي لهذه المسابقة المشؤومة و يدعى المهندس فايز الكامل و هو

مـــدير لإحـــدى الأقســـام الداخليـــة فـــي المؤسســـة العامـــة للإتصـــالات و براتـــب كبيـــر يفـــوق بســـتة أضـــعاف مـــا لـــدى الأول الـــذي لـــم يتحمـــل قلبـــه الضـــعيف الصـــدمة الشـــديدة جـــراء مـــا حـــدث أمامـــه ليفـــارق الحيـــاة بـــالقرب مـــن زوجتـــه التـــي ســـرعان مـــا ولولـــت و صـــراخها و صـــراخ أولادهـــا البـــاكين اختـــرق جـــدران بيتهمـــا المهتـــرئ و تحتضـــن جســـده بكـــل مـــا أوتيـــت مـــن قـــوة تولـــدت مـــن محبتهـــا الجامحـــة لـــه و قهـــرا عليـــه مـــن مجتمـــع لـــم يعـــد يعـــرف فـــي قلبـــه الرحمـــة و لا يعتـــرف بشـــيء إســـمه الإنســـان فـــي قواميســـه الصـــفراء صـــفار بـــيض فاســـد التـــي لازالـــت تســـري فـــي أجســـادنا و عقولنـــا العقيمـــة لـــيلا نهـــارا دون مقاومـــة تذكر له .

القميص الوردي

ظل يتشمم قميصها الوردي و يحتضنه بكل جوانحه كل صباح قبيل مغادرته العمل و وضع ولديه التوأم الرضيعين اليتيمين عند والدته في الشقة المجاورة منه دون أن تفارق الدموع عينيه الزرقاوين رغم محاولاته المستميتة لإخفائها عن أنظار الجميع حيث لم يستطع نسيانها بعد فارقته في مستشفى إبن سينا الحكومي بأبين إلى رحاب ربها الكريم تاركة ورائها طفلين رائعين فاقا جمالهما البدر في ليلة تمامه دون أن يستضيء بنورهما من أخرجهم إلى الوجود حيث لم يبال بهما أو حتى يزورهما في الحضانة ، فقد ظل طوال اليوم متشبثا بجسدها المسجى أمامها في غرفة الموتى ذارفا عليها انهارا من دموع حزنه المكتوم دون أن تفارقها الإبتسامة المرسومة على شفتيها الوردتين الباهتتين من حتى قبل العملية الانتحارية التي أجريت لها في غرفة العمليات المتواضعة بتجهيزاتها العظيمة بأطبائها الذين يعيش معظمهم على دولارين أو أقل حيث لم تكن تصدق في يوم من الأيام ستحظى بنعمة الأمومة و تحمل بطفلين بدلا من واحد دفعة كاملة و هي التي عانت الأمرين من العقم الذي أصابها سنوات عدة فتسبب لها بطلاقها مرتين و هي في ريعان شبابها بعد أن أجبرها والدها على ترك الجامعة و الزواج من شخصين يفوقانها في السن بحوالي ٣٠ سنة فتصبح على إثر ذلك زهرة ذابلة تستجدي الغيث من السماء دون

جدوى قبل أن يرويها بحنانه و عطفه بلا حدود بعد إقترانه أخيرا بها لتهل عليها الخيرات و السعادة الغامرة بلا توقف و لاسيما أنه سعى جاهدا كطبيب نساء و ولادة لحل مشكلتها الموروثة منذ نعومة أظافرها إلى أن تكللت مساعيه بالنجاح الباهر في ذلك ، و لكن الفرحة لم تكتمل ليصدم بوفاتها المفاجئة أمامه دون أن يتحرك من مكانه في غرفة العناية المركزة بلونها الأصفر الكئيب مما جعله طريح الفراش لأسابيع على إثر تعرضه لإنهيار عصبي حاد جراء ما حدث ، و واتته الحالة ذاتها مرارا و تكرارا كلما لمس قميصها الوردي المحلي الصنع و المزركش بزخارف تنتمي إلى التراث الشعبي لسكان السواحل المطلة على بحر العرب و لاسيما أنها كانت تخفف من عناء فراقها و تحمل ولديه التؤامين الذين لم يكن يطق رؤيتهما حيث كان يحملهما مسئولية وفاة والدتهما و هما بريئان من ذلك براءة الذئب من دم يعقوب ، و في يوم من الأيام فوجئ بإختفائه من خزانة ملابسه مما أثار غضبه و جنونه فطفق يقلب أرجاء الغرفة ثم بقية الغرف بحثا عنها دون توقف فلم يجد لها أي إثر يذكر ، فإشتعلت في جسده و عقله نيران اليأس و الحقد ضدهما إلى حد لا يوصف فانتزعهما من المهد ليأخذهما على متن سيارته سعيا وراء الخلاص منهما تماما متهما إياهما بقتل والدتهما ليحكم عليهما بالإعدام دون عقد أو إبرام لحظة وضعهما معا أمام إحدى دور الأيتام قبل أن تظهر أمامه قبل أن يتجه إلى سيارته

فيفاجئ بها فيتبدل وجهه بسرعة البرق و إختفت ملامح الغضب التي كانت تعتريه قبل قليل عند رؤيتها تبكي أمامه بحرقة شديدة دون أن تنطق بكلمة واحدة و عيناها توبخانه على تصرفه المشين هذا اللتان لم تتوقفا عن ذرف دموع الألم و الغضب و عندما إقترب منها كانت تختفي و تظهر في مكان أخر فكرر الفعل ثلاث مرات دون فائدة فعدل عن ذلك فقرر أن يعدل عن تصرفه السابق ذكره فحملهما من عتبة باب الدار بسرعة خاطفة قبل أن يراه أحد و أعادهما إلى السيارة فإنفرجت أساريرها و إقتربت منه كثيرا و أمسكت بيديه ليغرق في دهشته تلك فاغرا فاه إلى حد كبير لا يوصف و هو يسمعها تخبره بأن قميصها الوردي ملفوف في دثار الطفلين فسرعان ما ينطلق ناحيتهما فيتأكد من صدقها فما أن إلتفت إليها حتى إختفت تماما من عينيه قبل أن يترد طرفه ليدرك خلال عودته إلى البيت سعيدا جزلانا بأن روحها لا تزال حية و مغروسة في جسدي ولديه البيضاويين الرقيقين و لن تفارقه و تبتعد عنه مهما طال الزمن أو قصر .

قارب الوداع

لم تتوقف إيزابيل منذ ان وطأت قدميها النازلتين من سيارة لاندروفر شبه متهالكة قديمة الطراز على باحة فندق السعادة الإسفلتية الملطخة بالأتربة و المخلفات الورقية في المخا قادمة من فرنسا بصحبة زوجها إبن المدينة البار أيمن الخوربي عن التأمل لأرجاء مسقط رأسه بشكل يوحي بالسرور و لاسيما منظر مسجد الشاذلي الشهير القابع في أقصى المدينة تغمره الرمال الزاحفة و الإهمال المفتعل من قبل الدولة نحوه دون أدنى شفقة أو رحمة بعدما كانت محط اهتمام الجميع كإحدى أهم الموانئ التجارية في العالم منذ العصور القديمة و رائحة البن التي كانت تحتكر تصديره الى أرجاء المعمورة تعبق فيها دون ان تفارقها البتة الى حد ارتباطها اسمها به و يصبح علامة تجارية مسجلة ظلت راسخة في أذهان الأوروبيين جيلا بعد جيل دفعت الكثير منهم على مر الزمان إلى الرحيل صوبها و التنقيب عن سرها الدفين وراء مجدها الغابر هذا ، و كانت إيزابيل من بين هؤلاء و إن كانت تتميز عنهم بمعرفتها العميقة بها بإعتبارها حفيدة الجنرال أنطوان تروسييه آخر حاكم عسكري لمستعمرة الشيخ سعيد الفرنسية التي كانت تشمل جنوب تعز المجاورة لنظيرتها البريطانية عدن قبل جلائهم منها عام ١٩٣٧م حيث ظلت ملتصقة به إبان طفولتها المضطربة آنذاك بسبب الشجار المتواصل بين والديها دون توقف تحفظ ذاكرتها كل تالد و وارد

من قصصه و يومياته خلال فترة عمله و التي قضى معظمها هناك إلى حد غوصه في مجتمعهم الشبه منعزل رغم مشاربهم المتعددة من قبل و إنتماءاتهم الدينية من مسلمين و يهود و هندوس و باميان و العرقية من قحطانيين و عدنانيين و هنود و فرس سرعان ما إندثرت تحت وطأة الحكم الإمامي الثيوقراطي المستبد البغيض على مر الزمان .

إلا أنها لم تلبث أن نسيت كل ذلك إثر وفاته لتدخل عقب ذلك في حالة إنهيار عصبي دام خمسة سنوات متتالية كادت خلالها أن تنتحر أكثر من مرة دون جدوى قبيل تعرفها على زوجها و معالجها النفسي في مستشفى رامبير للأمراض العقلية و النفسية بشرق باريس أيمن و الذي بدأ يعمل فيه بعد تخرجه من جامعة نانتير بثلاث أعوام مضت لتبدأ بينهما قصة حب عنيفة على طريقة أمير الشعراء أحمد شوقي نظرة فإبتسامة فلقاء مضاف إليها قبلة فحب فجفاء فهجر فزواج مضطرب طيلة سنتين لم يعرف الإستقرار إلا بعد إرتزاقهما بنجلهم الأكبر توفيق الذي أنسى إيزابيل هموم وحدتها القاتلة و عزلتها الخانقة منذ فترة بمجيئه السعيد على قلبها الرقيق لم يسبق لها مثيل ، و عندما أتى بها إلى مسقط رأسه لم يكن يدرك الخطأ الذي إقترفه بحقها عندما جاء إلى هناك معتقدا أن بيئة جديدة تختلف عن وطنها ستحدث فرقا و لاسيما أنها لم تنس جذورها الكولونيالية بتاتا حيث مازال يجيش في مخيلتها أن المخا لاتزال وردة البحر الأحمر و عاصمة

تجارة البن الدولية لإرتباط إسمها بأرقى الماركات العالمية للقهوة الكابتشينو و القهوة التركي و اليوناني و النسكافيه التي إستمدت مادتها النقية من مزارع البن في العربية السعيدة اليمن و مسقط رأس الشاذلي مخترع مشروب القهوة في القرن السادس عشر الميلادي قبل أن تصطدم بواقعها المؤلم الآني و قد أضحت كهفا مهجورا خال من مباهج الحياة و الحركة التجارية مع وقف التنفيذ ، مبان قديمة على حافة الهاوية تعبر بصمت عن مجدها الزائل و تراثها الآيل للسقوط في أية لحظة ، و نظيراتها الحديثة البنيان المتواضعة و باتت تنتظر دورها ليهال عليها التراب معلنة موتها الزؤام المحتوم في عاصمة التهريب الأولى بإمتياز في الجمهورية اليمنية منذ عام ١٩٩٦م بعدما تداعت الحيتان على قصعتها المشروخة لينهالوا عليه نهبا و إغتصابا لأرضها و أهلها دون رحمة أو شفقة أو حساب ، حتى حلمها بإمتطاء متن أحد قواربها التقليدية الشهيرة بالسنبوك التي تتميز عن نظيراتها في السواحل اليمنية بضخامتها النسبية دون شراع و الذي تحقق لها بعد أسبوعين من وصولها إلى هناك تحطم على وقع السكاكين الحادة التي إنهالت عليها و زوجها و طفليهما من قبل أناس ينتمون إلى أحد مشائخ المدينة النافذين و أحد أساطين تجار التهريب فيها و الذي كان في حالة صدام مستمر مع والد أيمن رئيس مصلحة الجمارك في الميناء الأستاذ مصلح حيث تفرقت دماء ثلاثتهم

مجتمعين في مياه البحر الأحمر و من حولهم الناس الواقفين المتسمرين أمام ما حدث دون أن يهتز لهم جفن أو يتدخلوا لمساعدتهم أو حتى دفنهم لتغرق ذكراهم في قعر مياهها بعدما غرق أهل المدينة البائسة في يأسهم المطلق و فقدوا الأمل بالحياة .

القطة الصماء

ما إن فتح أيوب محله المتواضع شبه المهترئ و بتثاقل للجميع و هو على يقين بأنهم لن يأتوا البتة ، فمن يبالي بما في جعبته من ألعاب للأطفال الصغار في حارة تقليدية قذرة على طريق المطار بصنعاء غاص أهلها في العنف و العنتريات التي ما قتلت ذبابة و الرجولة الزائفة و العادات و التقاليد البالية و يرون أن هكذا بضاعة لا تليق بأطفالهم الذين فقدوا طفولتهم البريئة على يد أهاليهم الغير عابئين بوجودهم بالمرة هذه الأيام المرة مرارة العلقم .

و كان لصاحبنا نصيب من هذه المرارة ، فبعد أن أشرع أبوابه بشكل جيد و أراح جسده المجهد من كثرة المشي المتواصل قادما من بيته الواقع أقصى جنوب الشارع حيث لم يتملك أجرة الدباب[٥] إليه ، إلا أن ملامح الوجوم و الصمت المطبق ظلت ترتسم على وجهه حاملا بكفه لعبة قطة صماء من الفرو الناعم إشتراها من إحدى المحلات الكبيرة المحتكرة له في شارع حدة بثمن باهظ جدا و يتذكر مشاكله اليومية المقيتة و تصيب قلبه كل ساعة في مقتل و لا تزال راسخة في جوانحه و زادت همومه أكثر بعد زواجه من فاتن أمين إبنة أستاذه في الثانوية جابر أمين الذي حببه لمادة التاريخ رغم رفض والديه لها لمجرد أنها من المحافظات الجنوبية و

[٥] سيارات الميكروباص باللهجة الصنعانية (المؤلف) .

من مذهب آخر و طبقة إجتماعية محتقرة ألا و هي طبقة الحلاقين و إرتزاقه بولدهم البكر مأمون و يسكنان في شقة متواضعة أو بالأصح محل مهجور و بالإيجار لا يوجد فيها سوى الحمام فقط ، حتى الحمام لم يكن سوى مجرد كرسي مرحاض و صنبور مياه قديم و وعاء غسيل كبير محلي الصنع و من البلاستيك الرديء دون أن يحمي فاتن من مرض روماتيزم المفاصل الذي إفترسها و هي في ريعان شبابها من شدة برودة المكان و تنتقل بعد سنتين من زواجهما على إثرها إلى جوار ربها في مستشفى الملك التخصصي نتيجة الإهمال هناك ..... و غيرها من المآسي و النكبات التي لازالت تؤرقه و تقض مضجعه و أولاده الذين يتجرعون آلامها يوميا ، و حتى بعد أن إستأجر محلا صغيرا للألعاب بالكاد يسد الرمق أو يحاول تجاوزه و الإيفاء به في حي يعج بالمسلحين و الريفيين و الدهماء الهمج النازحين من أراضيهم بشمال صنعاء بأمر من مشائخهم المتنفذين في الدولة ليعيثوا في المدينة فسادا حيث من شدة تبلد أحاسيسهم لا يعترفون بالإنسان و مشاعره النبيلة و أحلامه البسيطة و الأمر سيان مع الأطفال و النساء ، فنادرا ما يأتون لزيارته و شراء بضاعته القليلة كما و الكثيرة كيفا مبررين إمتناعهم عنه بحجج و مزاعم واهية تتمثل بأسعاره الغالية مع العلم أنهم ليسوا فقراء و يرفلون بالنعيم و الثراء و إن كانت بطرق غير مشروعة و أن بضاعته تلهي أولادهم الهاربين من

المدرسة يوميا و يقضون جل وقتهم في معاكسة الفتيات المنقبات و المحجبات على حد سواء و إثارة الشغب عند المنازل التي يمرون بها و لعب كرة القدم و الألعاب النارية في الشارع العام عن الدراسة ..... الخ ، و ما زاد في ذلك أنهم أضحوا يقحمون الدين و العادات و التقاليد عنوة في تجارته حيث أخبره بعضهم بألا يفتح محله إلا في الأعياد الدينية فحسب لأن عدا ذلك مخالفا للعرف المزعوم الذي بات جزء من قيمهم الإجتماعية البالية و تدينهم الزائف مؤخرا دون أن يسعوا لإنقاذه من وضعه المادي السيئ أو يقدروا حال أولاده اليتامى البؤساء ، كانت القطة القطنية البيضاء اللون و ذات حجم كبير الصامتة أمامه الناطقة مع نفسها تشاركه همومه و آلام صاحبها و تحاول التعرف عن كثب على بلده بعد أن بيعت هي و غيرها من أمثالها إليه قادمة من وطنها الصين و تميزت عنهم بأنها من النوع الممتاز و مطابقة تماما للمعايير و المقاييس الدولية بعدما إعتاد الناس في أرجاء المعمورة و لاسيما هنا على السمعة الرديئة و الرخيصة الذائعة الصيت للمنتجات الصينية ، و مع ذلك لم يرغب أحد في شرائها لتظل تراقبهم عن كثب و هي مكومة في إحدى الرفوف الرخيصة التي أعدها أيوب بإمكانيات متواضعة بالكاد غطت ربع مساحة المحل المهترئ الذي يعج بالقذارة و الغبار و لا يوجد فيه دورة مياه حتى و لا يصلح لأن تسكن الفئران فيه ، كما أن بعضها خاو على عروشه من الألعاب و

البضائع لندرتها و عدم قدرة صاحبها شراء المزيد منها لإفتقاره السيولة الكافية بغرض توفيرها و جذب الزبائن عامة و الأطفال خاصة إليه دون أن يدري أن ما زاد في الطين بلة و عقد الأمور أكثر هو إنخفاض إيرادات المبيعات و عدم الإقبال عليه من قبل الأول لشراء ألعابه أو حتى الإستفسار عنها فلم يعد قادرا على دفع أجرة المكان الزهيدة بالنسبة له أو حتى أجرة منزله الغير صالح للسكن و دفع مصاريف دراسة أولاده و لاسيما أن معظمهم يتعمدون عدم الشراء منه مجاملة لبعض وجهاء الحي و محل الألعاب المنافس له و الذي يفوقه في الإمكانيات و المبيعات لمجرد أنهم ينتمون إلى قبيلة الشيخ مناع الحميري المعروف بملك الجراف الغير متوج فعد في نظرهم مجرد غريب لا يستحق منهم الإهتمام أو الشفقة أو التعرف إليه بإستثناء الشيخ امين راجح خطيب مسجد الحميري و الأستاذ شفيق باطياف موجة لغة إنجليزية في وزارة التربية و التعليم بمديرية الثورة اللذان كانا على تواصل دائم معه و أولاده و كانوا يساعدونه ماديا و معنويا لدرجة أن كلاهما واجها سكان الحي بكل شجاعة و وقفوا إلى جانبه على الرغم من أنه لم يبدر أي تصرف أو سلوك مشين يسئ إليهم و عائلاتهم منذ أن بدأ عمله هنا في شهر سبتمبر الماضي أي قبيل عيد الأضحى بأسبوعين و أقبل الأطفال عليه عن بكرة أبيهم يشترون منه بأموال القليلة التي جمعوها خلال العيد قبل أن يحجموا

عنه مفضلين الإعتداء على دكانه و ألعابه بإيعاز من أهاليهم المعتوهين عبر رشقه بالحجارة قبل أن يلوذوا بالفرار من أمامه في غمضة عين دون حياء أو خجل ، بل إنهم لم يفكروا بالإقتراب منه حتى لمجرد إلقاء التحية البريئة الساذجة عليه كما إعتادوا على ذلك من قبل .

و غيرها من الأمور التي ظلت تشهدها بأم أعينها و من فرط ذهولها و إشمئزازها مما تراه تمنت لو لم تصنع البتة أو أنها عادت إلى بلدها ليرسلوها إلى بلد آخر أهون و أفضل حالا من الأول و لاسيما بعدما كادت أن تخسر صاحبها عندما تعرض لإعتداء من قبل مرافقي الشيخ مناع و بتواطؤ من جيرانه الحاقدين عليه قلبا الطيبين معه قالبا لمجرد أنه رفض إعطائهم بعض الألعاب بالدين ريثما يسددون قيمتها لاحقا و هو عذر أقبح من ذنب من أناس ترفل جيوبهم بالأموال التي أخذوها من غيرهم بالباطل قسرا و دون وجه حق و يصرفونها يمينا و شمالا على ملذاتهم الخاصة التافهة و على حساب أسرهم البائسة التي لا تجد ما يسد رمقها منتظرة رب بيتها ليتكرم عليها ببعض من عطفه و كرمه الحاتمي و إن كانت على يقين بأنه يتعمد إبقائها في حال من الفقر و الجوع المدقع غير مبال بمعاناة زوجته و أطفاله أبدا ، و على إثر ذلك لم تقبل أن تقف موقف المتفرج مما يجري أمامها على الرغم من أنها مجرد دمية قطنية غير قادرة على الحراك و صوتها لا يعمل إلا بتشغيلها على يد

صاحبها و مع ذلك حدث ما يكن في الحسبان و أثار رعب المعتدين و المحيطين حولهم الممزوجة بالدهشة و الهلع مما رأوه حينما سمعوا صوت الموسيقى النابعة منها بطريقة ذاتية التشغيل و ما زاد فزعهم و دفعهم أن يلوذوا بالفرار الدموع التي كان تنزل بغزارة سيول جارفة من عيناها البلاستيكيتين الشبه المصقولة قهرا و مرارة و إحتجاجا على سوء معاملتهم الظالمة لهذا الرجل المسكين الذي لا يملك من حطام دنياه الفانية سوى أولاده و دكان صغير يقيم صلبه أشبه بجحر فئران قذر لا يجرؤ أصحابه على السكنى فيه إلا مجبرين ، و ما إن إستفاق أيوب من غيبوبته بصعوبة حتى لاحظ إختفاء المعتدين عليه بسرعة تاركين جسده المثخن بالجراح و الكدمات جراء ضربات أعقاب بنادقهم و رشاشاتهم دون رحمة أو شفقة ملقى على قارعة الطريق إن لم نقل الرصيف قبل أن يأتي الشيخ أمين و الأستاذ شفيق إليه لمساعدته و لكن بعد فوات الآوان حيث لفظ أنفاسه الأخيرة تحت وقع أصوات السيارات المزعجة و سائقيها الطائشين و رحيل الشمس شيئا فشيئا بعد أن إمتقع لونها الذهبي ليضحى برتقاليا قاتما إستعدادا للعودة إلى عشها الهلامي لحظة الغروب اليومية كعادتها ، دون أن تفارق شفتيه الزرقاوين إبتسامة عطرة بعطر كفاحه و عمله الممزوجين بعرقه المتصبب أنهارا منها ليل نهار من شدة القهر و التعب و الظلم على حد سواء مما أثار إستغرابهما إن لم نقل

حزنهما الشديد عليه دون أن يتأملا الإبتسامة المرسومة على وجه قطته الصماء بالتزامن من دموعها المنهمرة و التي قطعت بتعابير وجهها الصناعي و أحاسيسها المعبرة قول كل خطيب و التي أسعدته قبيل موته بلحظات معدودة بعدما أضحت مشاكل الحياة و مباهجها سيان بالنسبة له في هذا البلد الجحود .

أسئلة الصيف

(قف مكانك !)

صرخ ناصر الريماوي صرخة مشتعلة بنار غضبه نحو شقيقه الأصغر ناظم دون أن توقفه عن إستئناف المسير على قمة جبل كارجيل بولاية كشمير على الحدود الهندية – الباكستانية أو تذيب ثلوجها الباهتة صبيحة الثاني من يونيو من صيف عام ٢٠١٢م الحار كعادته كل سنة في هذه المنطقة المليئة بالقلاقل و الحروب و الإضطرابات المسلحة منذ الإستقلال حتى عصرنا الراهن و لم يدرك حقيقتها إلا بعد مرورا خمسة عشر سنة إثر هجرته من مسقط رأسه في نابلس بفلسطين إلى شبه القارة الهندية بدء من سعيه وراء دراسة هندسة الألكترونيات هناك و إنتهاء بإستقراره فيها إلى الأبد إثر تكوين شركته الخاصة و زواجه من زميلة الدراسة فيكا كومار و إنجابه منها ولدين بمنتهى الجمال و الأدب و حصوله على الجنسية الهندية غير مبال بما يدور في موطنه الأصلي سيما بعد إستقلال ما تبقى من أراضيها في الضفة الغربية و قطاع غزة التام عن إسرائيل و قيام الدولة الفلسطينية فيها فحصولها على عضوية الأمم المتحدة عام ٢٠٠٦م و يتوج بالقضاء على إسرائيل نهائيا على يد الجيوش المصرية و الليبية و

اليمنية مجتمعة من قبل حكومات ما بات يعرف بالربيع العربي عام ٢٠١٢م .

وحده شقيقه الأصغر الشاهد على هذه الأحداث المصيرية بحلوها و مرها و إكتوى بنارها يوما بعد يوم و لاسيما في الصيف الحار من كل سنة و كان آخرها مصرع زوجته و ولديه في غارة جوية إسرائيلية معادية لبلده إستهدفت جبل أبو غنيم عام ٢٠٠٧م ليدخل على إثرها في حالة إكتئاب مزمن لم يتحسن منها حتى تلك اللحظة ، لم يكن يرى في الدنيا أحدا سواها منذ إرتباطه بها بعد تخرجهما مباشرة من كلية الآداب بجامعة النجاح عام ٢٠٠٢م ، و هي أيضا لم تكن ترى في الدنيا أحدا سواها ، فتحملت أوضاعهم المادية المزرية متقبلة برحابة صدر يتسع لبحر بأكمله من قلوب المظلومين و المنكسرين في أرجاء المعمورة مرتبه الزهيد الذي يتقاضاه من عمله كموظف في مكتبة نابلس العامة و لا يسد الرمق حتى و إن تتفرغت لبيتها و أولادها دون الحاجة إلى دخول سوق العمل لمساعدته و تحسين معيشتهم على الرغم من سكنهم في منزل مستأجر من صاحبه بأجر باهظ الثمن بالقرب من المدينة التحتة[٦] ، لم تتوقف صورتها عن غزو مخيلته مرارا و تكرارا حتى بعد إقامته في منزل شقيقه بحي الأغنياء الفاحشي الثراء او الهاي لايف في مومباي الواقع في الطرف

[٦] معناها القديمة باللهجة الفلسطينية (المؤلف) .

الآخر من ساحلها اللازوردي بمعزل عن حي الفقراء الغائص في الفقر و الجريمة و القذارة المتناهية إلى حد لا يطاق البتة و إن كانت أوضاعها المزرية إستهوته كثيرا و دفعته إلى معاشرة سكانه البسطاء القليلي الحيلة هربا من أبنية الزجاج الراقية التي لم تلق هوى في نفسه .

إلا أنه ظل على إنطوائه المستمر و إحتجابه المزمن عن الناس أخيارهم و أشرارهم مما جعلهم ينصرفون عنه تماما ما عدا سيمران الشقيقة الصغرى لفيكا ذات الثامنة عشرة ربيعا و الطالبة المدللة في كلية التجارة التي وقعت في هواه من أول نظرة ، و عندما عرف ناصر به أمام عائلته لحظة قدومه من بلده و إن لم يبادلها نفس الشعور أو يجعلها تحل محل زوجته الراحلة دون أن يعاديها أو يتجنبها تماما لما لمسه من عطفها و حنانها إلى حد مصادقتها و الخروج معها كل صيف أيضا ، ما جعله يغوص في تساؤلات دائمة عما يقدم عليه من تصرفات و ممارسات غريبة من وجهة نظره في هذا البلد العظيم بسكانه و مشاكله و آماله العريضة التي لا تتوقف حتى بعد ما أقام حفلا غنائيا من الفلكلور الفلسطيني في مسرح بلدية مومباي الثقافي إحياء لذكرى وفاة زوجته آمال و الذي يصادف يوم تحرير بلده من المحتل الغاصب ، و زاد الشكوك في عقله الصغير إثر حادثة إغتصاب فيكا المزعوم داخل الحرم الجامعي ليلة الأحد الماضي و توجيه التهمة إليه قبل أن يتم الإفراج عنه و إلغاء قرار المحكمة

المستعجلة بسجنه ١٥ سنة بشكل مخالف للقانون دون أدلة أو براهين قوية تدينه في ذلك اليوم المشئوم ، الغريب أن حادثة الإغتصاب و محاكمته حدثا في الصيف أيضا ليشعل فيه نار الحقد و الغضب مما جرى و لاسيما ضد فيكا التي إكتشف تدبيرها المتعمد لعملية إغتصابها بمعية شلتها المنحرفة في كلية اللغات المعروفة بشلة الأمس النادم و على رأسهم عشيقها راكيش مندرا الفاشل في دراسته و المرفه في معيشته لإجباره على إقامة علاقة معها بعدما كان يقابلها بلطف بالرفض الدائم ، فأقسم على الإنتقام من الجميع ليشمل حتى عائلة أخيه ، فكما إنتقم من سرية الجنود الاسرائيليين الذين إستدرجهم الى سرداب مظلم في أحد المنازل المهجورة بوسط بلعين و أغلق بابه عليهم ليموتوا إختناقا في صيف ٢٠٠٤م قتل فيكا و راكيش و أعضاء شلة الأمس النادم و ضابط الشرطة و قاضي المحكمة الذي حكم عليه و شقيقة فيكا سيمران و ولده توفيق و والدها ضابط الجيش المتقاعد الجنرال كومار سينغ بطريقة المصعد حيث كان يستدرج أحدهم إلى أحد المصاعد الضعيفة التهوية و يعطلها بعد أن تغلق على صاحبها ليظل محشورا فيها مدة ساعة كاملة فيموت خنقا و حتف أنفه ، و قتلهم دون رحمة في موسمه المفضل فصل الصيف الذي يشعره بحرارة الدفء و النشاط و التمرد و الإنتقام كما عودته والدته الحاجة صفية مذ كان في الرابعة من عمره حينما كانت

تستلقي خلسة على رأس تبة عرمون لتنال حمامها الشمسي بثيابها الشبه عارية بعيدا عن أعين الناس بمن فيهم زوجها و والدها الصارمين ، و حتى حين إعترف لناصر في تلك اللحظة الفاصلة بما إقترفه عقله و قلبه الغامضين من جرائم القتل تلك أعطاه مسدسا لينتقم منه شريطة أن يتم ذلك الآن تحت وطأة هذه الثلوج البيضاء الدافئة بدثار الصيف الأبدي و عندما رفض ناصر قذف ناظم نفسه من على قمة الجبل الأصم دون أن يبالي بصراخ الأول الممزوج بالفزع و البكاء مناديا إياه ، طائرا سعيدا تحت قبة الهيمالايا الغارقة في الصمت و البهاء تحسبه نسرا تركيا يحتضن السماء بجناحيه العملاقين و يغرد بعينيه المتأملتين تغريده اللقاء الأبدي مع توأم روحه آمال الذي لاح خيالها و خيال ولديه أكرم و معتز أمامه يدعونه للمجيء إليهم مطلقا صرخته الأخيرة قبل أن يذهب إلى رفيقه الأعلى تاركا ناصر في دوامة البكاء و الألم : (ما أروع ما يرتكب بإسمك أيها الصيف) .

المسامير الورقية

ترنح الاستاذ ربيع في مشيته إثر انتهاء حصته الثالثة له في أول يوم يزاول فيه مهنته كمدرس لغة عربية بمدرسته الجديدة الواقعة في دار سلم ، و قد بدا في محياه ملامح الإعياء إن لم نقل الإرهاق بلحظات قليلة لم يتوقع حدوثه بسرعة هكذا ، لكن مارأه داخل جدران الصف الزرية الهيئة و كراسيها المهترئة رغم أنها مصنعة حديثا منذ يومين تقريبا جعله يصاب بالذهول الشديد قل نظيره في أي حدث آخر و حيرة من أمره عما إذا كانوا طلابا يسعون لطلب العلم أم وحوشا مفترسة تنتظر فريستها على أحر من الجمر ، يقابلها إدارة عاجزة و فاشلة كما هو الحال السائد في مدارس صنعاء الحكومية و الأهلية على حد سواء ، و من حسن حظه أن الحصة التالية شاغرة بالنسبة له حتى يرتاح من عناء التعب ليجلس في غرفة المدرسين أو هكذا يسميها مجازا ، فهي ليست غرفة خاصة بهم بالمعنى المفهوم ، فلا تحتوي على مائدة مستديرة كبيرة يجلس المدرسين من حولها لتفتيش دفاتر الطلاب و تقييمها و تحضير الدروس و لا على مكتبة عامرة بالكتب و المراجع العلمية بكافة انواعها لتزويدهم بغناها المعرفي .... الخ ، فلقد كانت فصلا دراسيا مهجورا أكل الدهر عليه و شرب ليكتمل تشاؤمه العارم أرجاء جسده و ملء عينيه القمحاوين لترى الصورة الماثلة أمامها حالكة السواد قبل أن يلفت نظره شابا أسمر من

أبنـــاء جلدتـــه ذو ملامـــح آســـيوية يجلـــس بالجهـــة المقابلـــة لـــه ، لقـــد كـــان الأســـتاذ إيـــاد مـــدرس الأحيـــاء ، و لكـــن مـــا الـــذي يصـــنعه بكومـــة الأوراق الممزقـــة مـــن قبـــل الطـــلاب و المتنـــاثرة فـــي أرجـــاء المكـــان ؟ هكـــذا ســـأل الأســـتاذ ربيـــع نفســـه و هـــو يتأمـــل الأشـــكال الهندســـية البديعـــة التـــي يطوعهـــا بنانـــه بغايـــة الروعـــة و لاســـيما المســـامير المصـــنوعة مـــن الـــورق بـــإحتراف عـــال إلـــى حـــد جعلتـــه يصـــدق أنهـــا حقيقيـــة و بالـــذات عنـــدما رأه يقـــوم بإنفـــاذهم جميعـــا فـــي الثقـــوب الفارغـــة علـــى جنبـــات درجـــه المهمـــل بمهـــارة فائقـــة دفعـــت الأســـتاذ ربيـــع إلـــى ســـؤاله عـــن ســـر مواهبـــه المخفيـــة تلـــك و لمـــا أخفاهـــا عـــنهم ؟ فأخـــذا يتجاذبـــان أطـــراف الحـــديث بينهمـــا مـــدة خمـــس دقـــائق كاملـــة أفضـــت فـــي نهايـــة المطـــاف عـــن أســـرار و جـــراح عميقـــة ظلـــت مدفونـــة فـــي دهـــاليز قلبـــه المفعـــم بـــالأحزان منـــذ أن أجبـــر علـــى الـــزواج مـــن فتـــاة لا يحبهـــا لمجـــرد أن كلاهمـــا مـــن طبقـــة إجتماعيـــة واحـــدة كمـــا هـــو ســـائد فـــي الأعـــراف القبليـــة الزيديـــة الســـائدة و بمهـــر غـــالي الـــثمن يضـــاهي قيمـــة عمـــارة ســـكنية فـــي بيـــت بـــوس أو مدينـــة صـــوفان ، و أجبـــر أيضـــا علـــى رفـــع الســـلاح فـــي وجـــه أحـــد الأشـــخاص داخـــل أحـــد فـــروع البنـــك اليمنـــي للإنشـــاء و التعميـــر بمســـقط رأســـه بعـــد إقتحامهـــا عنـــوة لمجـــرد بنوتـــه لأحـــد المشـــائخ ، و حينمـــا قـــرر أن يتمـــرد و يطلـــق زوجتـــه الأولـــى مـــن أجـــل الفتـــاة التـــي يحبهـــا و تزوجهـــا لاحقـــا فـــي الحديـــدة بعـــد علمـــه بإقامتهـــا مـــع عائلتهـــا هنـــاك حتـــى فتحـــت أبـــواب الجحـــيم فـــي وجهـــه مـــن قبـــل

والـــده الـــذي طـــارده فـــي أرجـــاء الـــبلاد مســـتغلا نفـــوذه ا لسياســـي و ثقلـــه القبلـــي لتحقيـــق ذلـــك ، فيضـــطر الأســـتاذ إيـــاد إلـــى الهجـــرة مـــع عائلتـــه الـــى الســـعودية ليمكـــث فيهـــا مـــدة ســـنتين فحســـب ، ذاق خلالهـــا كافـــة أنـــواع الـــذل و الهـــوان و العـــذاب فـــي هـــذا البلـــد القريـــب مـــن حـــدودهم و البعيـــد عـــن قلـــوبهم ، و عنـــدما يقـــرر العـــودة إلـــى وطنـــه يجابـــه بـــأزيز الرصـــاص و المـــدافع لحظـــة مـــروره مـــن منفـــذ الطويلـــة الحـــدودي يـــدوي فـــي ســـمائها و يلقـــي بالرعـــب فـــي قلـــوب الســـكان الامنـــين و القـــذائف تنهـــال علـــيهم مـــن كـــلا الطـــرفين المتحـــاربين الحـــوثيين و الســـلفيين دون أن يباليـــا البتـــة بـــأرواح الأبريـــاء الـــذين قتلـــوا علـــى أيـــديهم و مـــن بيـــنهم زوجـــة إيـــاد و ولـــده الوحيـــد هيـــثم الـــذي علمـــه أصـــول صـــنع الأشـــكال الفنيـــة مـــن الـــورق التـــالف حيـــث ظـــل يمارســـها يوميـــا كـــي تـــذكره بإبنـــه الفقيد و زوجته الراحلة .

لـــم يســـتطع أن يكمـــل حديثـــه منجرفـــا فـــي حـــزن عـــارم إرتســـم بحـــدة علـــى وجهـــه المتكـــدر أجبـــر عينـــاه علـــى ذرف الـــدمع علـــى روحيهمـــا الطـــاهرتين ، فـــي تلـــك اللحظـــة حـــاول ربيـــع أن يربـــت علـــى كتفـــه و يخفـــف مـــن حزنـــه إلا أن رنـــين الجـــرس الـــرديء معلنـــا فتـــرة الفســـحة و دخـــول الأســـتاذ المشـــرف عليهمـــا أمـــرا إياهمـــا بـــالنزول إلـــى الســـاحة ثـــبط مـــن عزيمتـــه مستســـلما و زميلـــه لـــنمط المدرسة الرتيب و المفتعل مجددا .

التضحية الواجبة

أمضى الأستاذ أنور بشير – مدير مدرسة الحكمة اليمانية النموذجية بصنعاء و التابعة لوزارة التربية و التعليم قابعا في غرفة الإدارة بعيدا عن منزله الفارغ من اهله متلمسا بأناملة القلقة و المتوترة الهاتف و يترقب عن كثب سماع رنين أول إتصال يبشره بالخبر السعيد ، و أي خبر سعيد كان يرجوه ؟ أنه خبر نجاح طلاب مدرسته السبعة في إمتحانات الثانوية العامة لهذا العام ، سيما و أن الطلاب المذكورين سلفا هم من بقي تلاميذ في مدرسته المترامية الأطراف بحجم إستاد رياضي يتسع لآلاف المشجعين و التي بنته حكومة ثورة السادس و العشرين من سبتمبر الخالدة بدعم من الإتحاد السوفيتي سابقا عام ١٩٦٥م ضمن أولى المدارس الحكومية المنشاة من قبلها ، بل و الأغرب من هذا أن الأستاذ أنور كان من أوائل الملتحقين بها منذ تأسيسها ليدرس المرحلة الثانوية فيها ، فما الذي يجعل هذه المدرسة العريقة خاوية على عروشها إلا من سبعة طلاب فقط و هي التي كانت من أفضل المدارس النموذجية الشاملة على مستوى الجمهورية قبل الوحدة إلى أن أصابها الاهمال و نخر السوس في عظامها الإسمنتية المتهالكة منذ عقد من الزمن ، و دون أن ينسى اليوم الذي عين فيه مديرا لها عام ١٩٩٩م و شاهد بعينه إلى أي مدى عمت الفوضى و الفساد أروقتها و فصولها الدراسية أيضا حيث إنغمس الجميع بلا إستثناء مدراء و

وكـــلاء و مدرســـين و طـــلاب و حـــراس المدرســـة فـــي لجتهـــا العميقـــة جـــدا بحيـــث أضـــحى بهـــا العلـــم يبـــاع و يشـــترى ســـرا و علانيـــة ، رســـوم دراســـية مرتفعـــة ، كتـــب مدرســـية و آثـــاث و معـــدات و لـــوازم علميـــة و مكتبيـــة تبـــاع فـــي الســـوق الســـوداء ، تســـرب الطـــلاب و المدرســـين مـــن المدرســـة علـــى حـــد ســـواء إمـــا هربـــا مـــن التعلـــيم أو التـــدريس ، و عنـــف الطـــلاب المشـــاغبين ضـــد المدرســـين دون تـــدخل مـــن المـــدير أو أحـــد مـــن وكلائـــه لفـــرض النظـــام فيهـــا و بضـــغط و تـــدخل مـــن قبـــل أوليـــاء الأمـــور ، و الغـــش الســـائد فـــي الإمتحانـــات الشـــهرية و الســـنوية دون خجـــل مـــن أحـــد ، و إهمـــال وزارة التربيـــة و التعلـــيم المتعمـــد لهـــا ..... و غيرهـــا مـــن الأمـــور الكارثيـــة التـــي أصـــابته بـــالمرارة و الحـــزن و جعلـــت الـــدم يتجمـــد فـــي عروقـــه و يثـــور غضـــبا و غيـــرة علـــى مدرســـته العزيـــزة علـــى قلبـــه و قضـــى أفضـــل ســـنوات عمـــره فيهـــا ليشـــن حملـــة شـــعواء ضـــد مظـــاهر الفوضـــى و الفســـاد و الإهمـــال الســـائدة بهـــا منـــذ ســـنوات خلـــت و إستئصـــال جـــذورها العفنـــة مـــن ثراهـــا الطـــاهر إلـــى غيـــر رجعـــة جعلتـــه يصـــطدم بطوفـــان المنـــاوئين لـــه و الرافضـــين لإصـــلاحاته الجذريـــة مـــن مـــدراء و مدرســـين و طـــلاب و أوليـــاء أمـــور مـــن المنتمـــين لمراكـــز القـــوى الإجتماعيـــة و الإقتصـــادية و العســـكرية و السياســـية فـــي صـــنعاء و ضـــواحيها و وصـــلت بهـــم إلـــى حـــد رفـــع الســـلاح النـــاري ضـــده كـــي يجبـــروه علـــى التراجـــع عـــن قراراتـــه الثوريـــة و التـــي أدت إلـــى إحالـــة ٧٠ مدرســـا و وكـــيلا إلـــى التحقيـــق و إيقـــافهم عـــن العمـــل و الفســـاد و طـــرد

حوالي ٤٠٠٠ طالب مشاغب و فاشل كانوا يشكلون عبئا ثقيلا على المدرسة بأخلاقهم السيئة إن لم نقل القذرة التي طالت زملائهم المجتهدين و مدرسيهم على حد سواء مضحيا في سبيل إعادة الأمور فيها إلى نصابها الصحيح بدعم الوزير المتواطئ مع خصومه و مرتبه الضئيل و حوافزه الملحقة به مما دفع زوجته و أبنائه إلى التخلي عنه الذين لم يعودوا قادرين على تحمل المضايقات الإستفزازية اليومية التي كانوا يتعرضون لها من قبل أولياء أمور الطلبة المتنفذين و مرافقيهم المسلحين لتثمر جهوده الشبه مستحيلة عن سبعة طلاب ممتازين في تحصيلهم العلمي و محترمين بأخلاقهم العالية و أستاذ مجتهد و مخلص لعمله ألا و هو ماجد أستاذ مادة العلوم و وكيل واحد للمدرسة الأستاذ عبدالخالق و حارس واحد للمدرسة الكبيرة المساحة العم ناصر و ثروة مالية لابأس تم إستعادتها من أيدي الفاسدين العابثة و التي أنفقت في تزويد المختبرات و الفصول الدراسية و مرافقها الأخرى بمستلزماتها و متطلباتها الأساسية من كتب مدرسية و أثاث مدرسي و مستلزمات مكتبية و علمية و رياضية و فنية ، و إعادة بناء دورات المياة بناء صحيا سليما يتفق مع المعايير المطلوبة من قبل وزارة الصحة العامة .

و أخيرا الخبر الذي كان بإنتظاره منذ يومين أو أكثر تلقاه من قبل تلاميذه السبعة النجباء عندما بشروه بنجاحهم في الإمتحانات الوزارية ، ليس هذا

فحسب ، بل تصدروا المراكز السبعة الأولى ضمن قائمة أوائل المتفوقين في الثانوية العامة على مستوى الجمهورية ، فما إن سمع بذلك حتى تبدد القلق من محياه و إنقشع غباره من قلبه المثقل بالهموم منذ فترة لتعم أرجاء جسده فرحة طاغية إلى حد لا يوصف دفعته إلى إحتضان و تقبيل طلابه الواحد تلو الآخر أثار إستغرابهم و الإنطلاق صوب ساحة المدرسة العامة بسرعة البرق رافعا عقيرته بأعلى صوت يخترق عنان السماء يخاطب المدرسة بعدما وصفها بوالدته الغالية التي أرضعته من خيرها الوفير و إحتضنت جسده الواهن بين ذراعيها الحانيتين من صقيع الدنيا و غدر الزمن قبل أن تسكته عن الكلام المباح رصاصة غدر قاتلة إخترقت ظهره بغتة من قبل أإحد الطلاب الحاقدين عليه قبيل فراره أمام مطاردة حارس المدرسة العم ناصر الذي بقي على إخلاصه التام له غير آبه لزملائه الآخرين الذين تخلوا عنه ، لم يستطع تلاميذه السبعة و معهم الأستاذين عبدالخالق و ماجد إنقاذه من الموت حتى بعدما نقلوه إلى المستشفى بأسرع ما يمكن ليقابل وجه بارئه و رفيقه الأعلى بصدر رحب ملؤه الإعتزاز بما أنجزه في سبيل خدمة وطنه الغالي دون أي مقابل أمامهم و هم يقفون من حوله وقوف فلاسفة اثينا حول جثة معلمهم الأكبر الفيلسوف سقراط إثر إعدامه بالسم يذرفون الدمع الما و قهرا عليه دون

أن يثنـــيهم ذلـــك عـــن مواجهـــة ماضـــيهم و أمســـهم المظلـــم بعقـــولهم الثـــائرة و الطموحة الفائضة بنور ساطع ينير سماء غدهم القادم بالعلم و الأمل .

رنين الأوامر

إمتلأت سترة نصر بالهواتف الخليوية التي أثارت استغراب من حوله من ركاب الدباب المهترئ الذي إستقله قبل قليل من أحد شوارع حدة المكتظة كالعادة بالناس و السيارات بعد صلاة المغرب ظنا منهم أنه بائع متجول يحترف بيع الهواتف الخليوية المستعملة ما لبث أن تبدد شعورهم الطارئ ذاك حين لمح بعضهم إثنان من المسدسات نوع ٦٠ملم تحيط بخصره و عسيبه[٧] ، فهو لم يكن في نهاية الأمر سوى مرافق مسلح لمسئول كبير في البلاد ، و ليس أي مسئول ، إنه عمنا[٨] الذي تنحى مؤخرا عن السلطة عام ٢٠١٢م و إن كان لايزال مصرا على تشبثه بالسلطة حتى الآن تشبث طفل مدلل بلعبته كما هي عادة المتنفذين و المتسلطين في بلادنا على الرغم من تخليه عنها بضغط من حلفائه السعوديين و سادتهم الأمريكيين .

ما الذي يدفع نصر أن يعمل مرافقا له بل قائدا لمجموعة مرافقيه البالغ عددهم في العلن ١٠ أفراد و في السر جيشا بأكمله يكفي لتحرير القدس من قبضة الإسرائيليين و هو في السابق كان قائدا للواء ٣١٠ مشاة ؟ أهي أموال سيده البالغة ٦٠ مليار دولار و المنهوبة خلال سنوات حكمه

---

[٧] العسيب : هو حزام الخنجر التقليدي أو الجنبية لدى اليمنيين (المؤلف) .

[٨] رئيس الجمهورية علي عبدالله صالح (المؤلف) .

الغابرة من أموال شعبه المتخلف الساذج الغبي بملء إرادته حيث ما يزال العديد منهم يسيل لعابه من أجلها حتى و لو على حساب نفسه ؟ أم جمعهما الإنتماء القبلي و المناطقي و المذهبي ؟ أم أنها لعبة الولاءات الخفية التي أجادها أبناء شعبنا العظيم بنفاقه و تملقه العريق منذ العصور الوسطى حتى يومنا هذا ؟ فهو في العلن مع الرئيس و في السر مع عدوه ؟ ..... و غيرها من الأسئلة الصامتة التي ظلت تطرحها عليه أعين الركاب الحائرين من أمره بعد سماعهم لرنين هواتفه النقالة التي تصدح بالأوامر من عالي المقام و الطلبات من المرافقين المؤتمرين بأمره دون توقف آخرها وجوب حضوره موكب الرئاسي المنطلق من مقره الرمادي الحصين في قلب شارع صخر[٩] و تحت حراسة مشددة من جنود الأمن المركزي ليتولى تنظيم موكبه المبجل بنفسه ، فسرعان ما ينزل من الدباب تاركا الجميع بداخله يرتاحون من إزعاج رناته الهاتفية و إن كانوا على يقين بأن البلاد في طريقها إلى الهاوية أكثر من ذي قبل .

[٩] هو الإسم المستعار لشارع مقديشو لدى عامة سكان صنعاء لأن معظم محلات الكمبيوتر موجوده فيه منذ إنشائه عام ١٩٧٥م (المؤلف) .

البطل المجهول

لم يفق كنتارو كاجيموشا من تأثير المخدر إثر العملية الجراحية التي أجريت له في رأسه لإيقاف النزيف المتدفق من خلايا المخ العصبية بعدما توج بطلا للعالم في وزن الريشة للملاكمة النظامية على حساب نظيره العاجي اللبناني الأصل حسين نخلة في المباراة النهائية التي جمعتهما في الصالة الأولمبية المغلقة بميونيخ الالمانية عام ١٩٧٨م على الرغم من تسديد الأخير للأول لكمة عنيفة في صدغه الأيسر بالجولة الثالثة إلا أنه خسر أمامه بالقاضية في الجولة الخامسة .

ظل فاقدا للوعي مدة خمس دقائق أخر قبل أن تشعر عيناه الشاحبتان بالإنزعاج من صوت قطرات السيروم المتدفقة صوب عروق يده من خلال الحقنة الوريدية الموصلة بها و تستفيقان من غيبوبتهما شيئا فشيئا ليرى من خلالهما نور الصباح المنبعث من نافذته البلورية بغرفته المصنفة ضمن الجناح الملكي بمستشفى هاكوشيما الدولي الخاص بالدكتور سيكوسوري صديق والده بالتبني الراحل د/ هيرو كاجيموشا و كليهما قد تخاصما بعد إثراء الأول من عمليات الإجهاض السرية للشابات الحوامل خلال عملهما في مستشفى كوتاي الحكومي في ريعان شبابه .

ظل كنتارو يتأمل النور المشع من الخارج يغشى ثنايا وجهه البشوش حينما رأه رأي العين و تحت إيقاع موسيقى فرقة أبا السويدية الشهيرة و المفضلة لديه مذ كان طالبا في الجامعة و كان صادرا من آلة الحاكي العتيقة القريبة منه و التي قامت بتشغيله زوجته بناء على طلبه و هو يشاهد عبرها مسيرة حياته القصيرة المتخمة بالأحداث بأفراحها و أتراحها منذ أن وجد بالقرب من إحدى ملاجئ الأيتام الفقيرة بطوكيو دون أن يعلم من أبواه و إن كان قد أدرك مؤخرا بإنتمائه لعائلة يمنية مهاجرة إلى اليابان منذ ثلاثينيات القرن المنصرم تنحدر من إحدى الأسر العريقة في تريم شمال حضرموت ، فوالده بطل اليمن و العالم السابق لوزن الديك مراد الفارس و الذي لقي مصرعه خلال مباراته الأخيرة التي عقدت في عاصمة بلده عدن و في الجولة الثالثة على يد نظيره الروماني بيترو كوماشيكو المصنف الرابع عالميا عام ١٩٧٢م ، و قد تعرف عليه كنتارو عندما أتى بلدهم اليابان بدعوة من زوجته السابقة و أم الأخير الحقيقية ياسمين نصيف إبنة مأمون نصيف صاحب المجمع الرياضي في حي هيروشي بطوكيو و العدو اللدود لوالد كنتارو الحقيقي مراد رغم إنتماء كليهما إلى حضرموت بحد ذاتها ، فالعداء المستحكم بينهما أدى إلى رفض تام لزواج مراد بياسمين الذي حدث رغم أنفهما عند أحد شيوخ مسجد الرحمن بأوساكا عام ١٩٤٩م قبل أن يجبرا على الإنفصال عن بعضهما إلى حد تكسير ساقي ياسمين و

محاولة قتل مراد في إحدى الضواحي الفقيرة لطوكيو حيث كان يؤدي خدمته العسكرية حارسا بإحدى نقاط التفتيش بها و أخيرا إختطاف ولدهما الوحيد من بين أحضان أمه ليعاني مرارة اليتم و الوحدة داخل الملجأ و قوانينه الصارمة و قلوب القائمين عليه القاسية لتحيله إلى سجن مظلم ملئ بالكأبة و الرعب سرعان ما تحرر منهما عند تبنيه من قبل الدكتور هيرو كاجيموشا و زوجته الجميلة الحنونة كيوتو التي أغرقته بحبها الطاغي و حنانها العارم بلا حدود و والدها المدرب العالمي نوعا ما و الجندي السابق في الجيش الياباني خلال الحرب العالمية الثانية قبل حله من قبل المحتلين الأمريكيين هوشيكو الذي علمه في ناديه المتواضع أصول و قواعد الملاكمة بنوعيها الحر و النظامي على الرغم من روحه الميالة للسلم و إن كانت لم تعفيه من المغامرات السياسية و العاطفية و الرياضية العنيفة التي جلبت المشاكل و النكبات له و عائلته بدء من إنخراطه في العمل السياسي الطلابي بالجامعة ضمن كتلة الشيوعيين اليابانيين ثم ناطقا بإسم تنظيمهم العسكري الجيش الأحمر ليتعرض للإعتقال و التنكيل من قبل الشرطة و المخابرات مطلع الستينيات مرورا بإقتحامه وزارة الداخلية بمعية الكاتب الشهير يوكو ميشيما قبيل إنتحاره في ذلك اليوم إثر فشل المحاولة عام ١٩٧٢م ، و محاولة زواجه من إبنة بائع الحليب كاووري الذي أنقذها من الموت مرتين ، الأولى من يد

مغتصبيها و الثانية من يد والديها اللذين أرادا قتلها ليغسلها شرفهما منها دون أن يشفع ذلك لهما الموافقة على طلبه بعد مشاجرة عنيفة مع والدته لمجرد أنه لقيط تبنته عائلة غريبة عنه و إنتهاء بدخوله مباريات الملاكمة الغير شرعية التي تديرها الياكوزا[١٠] شرق طوكيو تحت غطاء السلطات و التي يحضرها العديد من القضاة و ضباط الشرطة و كبار رجال الدولة الفاسدين ليراهنوا بأموالهم التي نهبوها من المال العام و بحماية إمبراطورية من نوع خاص على أرواح و أجساد الملاكمين الفقراء الذين يتقاتلون على حلبة رديئة الشكل سعيا وراء الظفر بحفنة من النقود علها تقيم صلبهم و من بينهم كنتارو الساعي إلى تسديد بعضا من ديون والده المتعثرة عليه لدى الدائنين المطاردين له و إلى إجبار معظم الصحف المحلية المتجاهلة عمدا لإنجازاته الرياضية في حقل الملاكمة تمثلت بفوزه ببطولات آسيا لوزن الديك ثلاث مرات باليابان و باكستان و إيران و بطولة العالم لوزن الديك ثلاث مرات أيضا بسويسرا و بريتوريا و اليابان أعوام ١٩٧٣م ، ١٩٧٤م ، ١٩٧٥م على الإهتمام به كمثيلاتها الأجنبية التي أفاضت في كيل المدائح و التهاني القلبية لأول ملاكم من بلاد الشمس المشرقة ينتزع هذه الألقاب في تاريخ الملاكمة النظامية ببلده اليابان سيما و أن مالكيها من العصابات السالفة الذكر و لا تهمهم إنجازات المنتخبات

[١٠] المافيا اليابانية (المؤلف) .

الوطنية المعتمدة على موارد الحكومة الشحيحة لها التي لا تسمن و لا تغني من جوع و دفعت إحدى مريضاته بطلة العالة الأولمبية في الجمباز و تحديدا لعبة الحصان الخشبي كايو إلى الإنتحار شنقا بمنزل زوجها في السبت الماضي بعدما يئست من توفير الدولة لنفقات عمليتها الجراحية المفترض إجراؤها في إحدى المستشفيات المحلية المتخصصة لكاحلها الأيمن ، و كان ثمن مغامرته الأخيرة باهظ و مؤلم أودى بحياة والديه قتيلين على يد أحد أفراد العصابة بعد إحتفاظه باللقب العالمي للمرة الثالثة إثر تغلبه على نظيره الإيرلندي جون أفليك ، لم ينس ذلك المشهد المريع داخل حلبة تيكاكيتي و هو يرفع جثة والدته الملطخة بالدماء المتصاعدة من بطنها شلالات منهمرة على صدره العاري نادما على ما اقترفته رغبته الجامحة بنيل الشهرة و المجد ، فلم يكترث للسجن و القهر و النسيان من قبل أعدائه و العطف و الحنان من قبل أحبائه بمن فيهم زوجته كاووري و جده الذين تجمعوا حول جثته الهامدة على سريره اللبني دون أن ينجحوا في منع روحه الهائمة في الأرض لتهيم مجددا في السماء العالية بلا أحد يسمح لها بالهبوط من عناء الترحال و الغربة في بلد ليس له فيه قبر يذكر به إسمه المجهول أيضا .

السجل الذهبي

ظل زياد يترقب الموت ثلاثة اسابيع بلياليها داخل مستشفى المواساة الدولي بمدينة المكلا بعدما ضاق ذرعا بحالته الميؤوسة منها و لم يعد قادرا على تحريك جسده المشلول شللا تاما منذ أن فجع بمقتل زوجته الحامل في شهرها السابع مريم ذات العشرين ربيعا و العثور على جثتها في إحدى الشواطئ الغربية للمدينة منذ شهر مارس الماضي داخل جوال بني قذر مستخدم لجمع النفايات لتختنق و جنينها في جوفه دون رحمة أو شفقة من قاتلها الذي إكتشف لاحقا بأنه السيد صالح حماه العزيز الطيب المهذب الرقيق في تعامله كما كانت تصفه مريم مرارا و تكرارا بمنتهى الإعجاب و الفخر الشديدين أمامه إلى حد أنه أضحى يعتقده نبيا أو وليا من أولياء الله الصالحين قبل أن يصدم بفعلته النكراء و جرمه المشهود التي تشمئز له النفوس سعيا وراء غسل شرفه الذي تلطخ و تشوه تماما على يد إبنته التي ستنجب حسب زعمه و جهله ولدا غير شرعي ، لذا فلا بد من التخلص منهما معا قبل ان يعلم بذلك ، و قد ساورت السيد صالح و هو من اشراف تريم الشكوك حول عفتها عندما وشى بها عشيقها السابق و هو أحد زملائها في العمل عن علاقاتها الجنسية المحرمة في السر إنتقاما لسعيها تفكيك عائلته و تشويه سمعته لدى رئيس العمل الذي وعده بمنصب رفيع المستوى بالشركة ، و قد كانت مريم قد إعترفت

لتوها أمامه بهذه الخطايا قبيل زواجهما بشهر مخيرة إياه بينها و بين سمعته ، في البدء غضب زياد إلى حد الإستغراب مما قد إقترفته يداها من قبل و هي التي دافعت عن شرفها من قبل عندما عرض عليها الزواج في السر حتى يجبر والدها على الخضوع للأمر الواقع بعد إشتراط الأخير مهرا باهظ الثمن عليه ، لكنه ما لبث أن إحترم شجاعتها الأدبية مقررا أن تكون رفيقة دربه حتى آخر العمر مدركا المصاعب و الأزمات التي عانتها جراء عنوستها المزمنة لفترة من الزمن ، إلا أنه لم يصدم من العقاب الهزيل الذي ناله السيد صالح جراء جريمته الشنيعة تلك السجن مدة ثمانية أشهر أو غرامة مقدارها ١٠٠٠ دينار بالرغم من الأخير لفق لصهره تهمة قتلها بهذه الطريقة البشعة ضمن خطته الجهنمية لإرتكابها بمنتهى الإتقان .

و بالمقابل لم تغفر له عائلته و على رأسهم والده الأستاذ عمر المدير السابق لمكتبة النبراس العامة في المكلا سكوته عن زلات زوجته الراحلة و التي لا يمحي عارها سوى القتل حيث كان الأخير أكثر حدة من بينهم في غضبه ضده بسبب وقوفه له بالمرصاد حينما إستولى على أموال أولاد أخيه اليتامى دون أن يحاسبه أحد ..... الخ .

لم يبال زياد بما سبق ، فلقد كان يشغل تفكيره هو العثور على دفتر زواجه و المعروف بالسجل الذهبي و الذي حصل عليه إثر إقترانه بمريم دون أن

يجـــده فيســـأل الممرضـــة التـــي أجابتـــه بإشـــمئزاز تعبيـــرا عـــن عـــدم إحتمالهـــا لوضـــعه الســـيء داخـــل أروقـــة المستشـــفى الكئيـــب بأنـــه علـــى المنضـــدة المجـــاورة لـــه إلـــى اليمـــين ، و علـــى إثـــر ذلـــك يحـــاول عبثـــا النهـــوض و مـــد يـــده اليمنـــى نحوهـــا لإلتقاطهـــا ثـــم فجـــأة يســـقط مـــن علـــى الســـرير ســـقطة عنيفـــة تركـــت أضـــرارا بالغـــة فـــي صـــدره و وجهـــه ففـــارق الحيـــاة علـــى إثرهـــا بعـــد أن تمكـــن مـــن الإمســـاك بالســـجل الـــذهبي و ظـــل متشـــبثا بـــه حتـــى بعـــد دفنـــه فـــي مقبـــرة العيـــدروس العامـــة الخميس الماضي .

أقداح المطر

لم تتوقف أمنة الرازحي منذ بلوغها سن السابعة و الثلاثين عن زيارتها لتلة حسين على سفح جبل باقم العاري أعلى جبل في صعده و يقع في قلب جبال عسير الممتدة على طول الحدود اليمنية – السعودية التي فرقت بين أبناء شعبنا الواحد منذ أعوام ١٩٣٤م و ١٩٧٤م و ٢٠٠٠م ، بما أنها قريبة من الحدود و يستطيع أي إمرئ إعتلاء قمتها الشاهقة و رؤية الجهة الأخرى منها مما دفعها إلى الإستمرار في زيارته يوميا من منتصف اليوم بعد أن تقوم بواجباتها في المنزل و الحقل حاملة على أكتافها طناجرا من الألمنيوم المطروق اليدوية الصنع تتفاوت أحجامها ما بين الكبير و المتوسط متحملة مشاق الصعود إليه و برودته القساوسة لتضعهم بالتساوي عند تلة حسين التي سميت على إسم إبنها ذو ال ٣٢ ربيعا المهاجر إلى السعودية منذ ثلاث سنوات بعدما دخلها من قبل جنديا في الجيش النظامي فترة الإشتباكات الحدودية عام ١٩٧٦م ، تبقى هناك دون رفيق أو ونيس يسري خاطرها و يسلي وحدتها تتأمل الجهة الأخرى من الحدود على بعد ١٢٠٠ مترا فوق مستوى سطح البحر منتظرة عودته بفارغ الصبر ، فتمتلئ الطناجر الخمسة بمياه المطر التي تهطل عليها فجأة من على سفح هذا الجبل المقفر لدلالة على رجوعه حسب إعتقادات سكان المنطقة ، أنجبته و هي في الثامنة عشرة من عمرها و تحملت من

أجلها جميع النكبات و النوائب التي حلت بها طوال حياتها منذ إجبارها على الزواج و هي طفلة من مغتصبها الشيخ مانع مجبل ، فكان فرحتها الأولى و الوحيدة و دفعها إلى بذل الغالي و النفيس منذ تخرجه في الثانوية حتى التحاقه في صفوف الجيش حيث لم يلتحق بالجامعة بسبب رفض والده الشديد لذلك بحجة أنها وكر للفساد الأخلاقي كما يزعم و هو الشيخ الوقور الذي إغتصبها و غيرها من فتيات القبيلة دون حسيب أو رقيب من أحد ، لكنه يخاف أن تعلم ولده هناك تغيرت عقيلته التقليدية بسرعة كما حدث أثناء دراسته في مدرسة المنار الحكومية .

ظلت أمنة تفكر في ذلك الماضي الأليم التي تجرعت ماسيه لسنوات طوال لم يحررها منه سوى وفاة رفيق دربها قتيلا في إحدى المناوشات القبلية التي حدثت في سوق الطلح قبل عامتين و لم تظفر من تركته التي جشم عليها أولاده من زوجاته السابقات سوى بثلاث أراض صغيرة بالكاد ريعهن يسد الرمق ، لكنها لم تبال فريثما يعود ولدها محملا بما ادخره من مال في ارض المهجر سوف يحولهن إلى أراض خصبة و تعود بعائد مالي أضخم من السابق و سيتزوج من الفتاة التي يحبها بملء إرادته ..... و غيرها من الأمنيات الجياشة التي شغلت نفسها بها ريثما يعود ، و لكي يتحقق مأربها نذرت لنفسها في حال ما إمتلأت طناجرها بمياه المطر جميعا فسترقص لله فرحا و حمدا على سلامته و عودته حسب العادات و

التقاليد ، و لم تنقض ثوان حتى سمعت هزيم الرعد و دوي البرق أمامها لينهمر عليها سيل جرار من الأمطار لم تعهدها و جبل باقم من قبل ، فسرعان ما امتلأت القدور فرقصت رقصتها الشعبية التي تشتهر بها نساء رازح و تغنى تحت المطر أهازيج منطقتها المتعلقة بقدوم العائدين من الغربة متذكرة مسيرة حياتها المؤلمة و الطويلة التي تجرعتها بمرارة العلقم من اجل وحيدها و التي أدركت الآن أنه قد عاد اليوم لتسرع بالنزول من تلة حسين بأعلى الجبل منادية بفرحة غامرة بإسمه ..... حسين ..... حسين ..... ولدي حسين ..... قبل أن يتبدل وجهها و يمتقع لونه من شدة المفاجأة و الحزن حيث رأت إبنها قد عاد فعلا و لكن عاد ميتا و محملا على أكتاف شباب المنطقة ، فلقد قتل على يد رجال الأمن السعوديين في الدمام حيث يعمل سائقا للأجرة دون تهمة أو بالأصح بتهمة أن إقامته غير قانونية في البلد و هذا غير صحيح كما ذكر زملائه الذين رافقوا جثمانه لها التي لم تصدق ما حدث بالرغم من أنها تعرف شدة عدائه للسعوديين و ما إرتكبوه بحق بلاده من جرائم و إنتهاكات لا حصر لها ، و لم تستطع الكلام من هول الصدمة قبل أن تندفع صرخة مرعبة من فاها صاروخا مكبوتا من المشاعر الدفينة تخنقها الدموع الجارفة تحرق عينيها من شدة الألم فتجثم على جثة أملها و غدها القادم الذي تبخر أمامها خلال دقائق معدودات بواسطة رصاصات نحاسية اللون من

أنـــاس لا يعترفـــون بالإنســـان و لاســـيما الغريـــب عـــن تصـــوراتهم ، ظلـــت جاثمـــة علـــى جثمانـــه دون أن تنفـــك عنـــه أمـــام شـــباب المنطقـــة الـــذين تركوهـــا علـــى هـــذه الحالـــة التـــي يرثـــى لهـــا و هـــم المعتـــادون علـــى هكـــذا مواقـــف حيـــث يعرفـــون أن مـــن يختـــرق أســـوار الحـــدود إلـــى الضـــفة الأخـــرى منهـــا حيـــا ســـيعود إلـــيهم ميتـــا فـــي اغلب الأحيان .